٥١٥

515

دار م. النحاس

HARLEQUIN

www.elromancia.com

مرمورية

نهاية الشك

روزالي آش

نهاية الشك

روزالي آش

«أن نعيش اليوم بكامله!»

كانت فلسفة رومانو مناقضة تماماً لفلسفة كارولين في الحياة. هو كان يؤمن بالتمتع بكل ما تقدمه الحياة، أما هي فكانت تضع نصب عينيها الحذر والتأني في كل شيء.

لكن على جزيرة مالطا الرومنطيقية، وجدت كارولين نفسها ترمي بما آمنت به في مهب الريح بتشجيع من رومانو. وضعت حذرها جانباً واختبرت الشغف في الحب للمرة الأولى. رومانو انسان مميز. إذاً، كيف تتأكد كارولين من أنه لا يعتبرها مجرد مغامرة عابرة لقضاء عطلة مسلية؟

ثمن النسخة
٢٠٠٠ ل.ل
2000 L.L

«هل أنت على علاقة حميمة بجيريمي؟»

«اهتم بشؤونك!» لا فائدة، فكرت كارولين بغضب. أن تحافظ على هدوئها ورومانو قريب منها كأن تعد حبات الرمل على الشاطىء.

«فإذن، أنت لا تفعلين.» إلتقت النظرات القاتمة بعيني كارولين الرماديتين الغاضبتين متعمداً إثارتها.

«وهل أنت على علاقة حميمة بستيفاني؟»

«لا.» لكن أطلت من عيني رومانو سخرية لاذعة، وتّرت الجو.

روزالي آش

«ولد حبي لمالطا وشعبها الودود منذ اللحظة الأولى التي وطأت فيها قدماي أرض المطار.»

«أنا حساسة إزاء الجو. أعشق الأماكن ذات الجو المميز والعابق بالإثارة والقوة. بالنسبة لي، ماضي مالطا القديم مليء بالشغف والذي ينبعث من كل إنش رائع في الجزيرة. إذا كانت الآثار القديمة هي المكان الذي يستطيع تجسيد القصص العاطفية التي حصلت في القديم، فإن مالطا هي افضل برهان على هذه النظرية. أعشق قبابها وقصورها وحصونها، وسيتا نوتابل الخلابة المليئة بالألغاز في وسطها حيث تعيش بالتأكيد الاساطير والخرافات حتى يومنا هذا.»

روزالي آش.

www.elromancia.com

khouloub Abir 515

نهاية الشك

روزالي آش

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

الفصل الأول

«رومانو! و ستيفاني!» مدت سوزان هاستنغز ذراعيها مرحبة بحرارة بضيفيها: «كم أنا سعيدة برؤيتكما! تعالا لأعرفكما على ابنتي كارولين...» كانت الخادمة مشغولة بتجهيز طاولة الغداء.

كانت كارولين تقف على الشرفة في الطابق الأول في بيت أمها القديم في كالكارا، تسكب لنفسها شراباً منعشاً ليساعدها على تحمل الحر الشديد في منتصف يوم حار. نظرت إلى الأعلى وهي تبتسم بلباقة ولكن ابتسامتها تلاشت على شفتيها فوراً. تصلبت في مكانها مصدومة وغير مصدقة. امتلأ كأسها وأخذ الشراب يندلق على الطاولة أمامها دون أن تلاحظ ذلك.

الرجل الذي خرج لتوه إلى الشرفة كان طويلاً، رشيقاً وشديد السمرة. لولا بذلته الثمينة المصنوعة من الحرير، لاعتقد من يراه للوهلة الأولى أنه شخص قادم من زمن آخر، زمن مليء بالقسوة والمغامرة والتوحش، ولكن خياطه اعطاه مظهر الرجل المتمدن الذي ينتمي إلى عالم الانسان المتحضر.

تدلت من رقبته ربطة عنق حريرية بفخامة البذلة. تخيلته كارولين شخصاً ينتمي إلى عالم المكتشفين القدماء الذين غزوا واستعمروا مالطا ومعظم المناطق التي تطل على البحر المتوسط منذ آلاف السنين.

جف حلقها. هذا الشخص لم يكن تجسيداً لأحد البحارة

الأشداء من العصور القديمة، ولكنه بالطبع لم يكن أيضاً الرجل الذي وافقت على العمل معه في الاسابيع القليلة القادمة.

شعرت وكأن تياراً قد صعقها، وبجسمها يرتجف من ردة الفعل لدى رؤيته. لا يمكن أن يكون ما تراه حقيقياً. لا بد أن خيالها يصور لها أشياء وهمية لا وجود لها. هذا لا يمكن أن يكون رومانو دي سيورتو، صديق أمها، الرجل الذي دعاها إلى مالطا...

حدقت به مذعورة. كانت تقف قرب طاولة المشروبات حيث تدلت زهور الياسمين والورود بشكل فوضوي من أوانٍ جميلة. أما هو فكان يقف في مواجهة الشمس التي عكست مظهره الصلب المعتد بنفسه. إنه رجل معتاد على اعطاء الأوامر بكتفيه العريضتين ومظهره القوي وعنفوانه. بكلمة واحدة كان نموذجاً للرجولة المتكاملة في مظهره.

وقفت إلى جانبه فتاة ذات شعر أسود طويل وعينين بنيتين وفم صغير شبيه ببرعم زهرة ندية. كانت تلبس فستاناً أبيض ضيقاً. قدمت اليها تحت اسم ستيفاني مارسا، سكرتيرته. ولكن الرجل هو الذي جذب نظرها كالمغناطيس.

بادرها قائلاً وهو يتفحصها بإمعان: «أنا سعيد بمقابلتك ومتشوق للعمل معك، يا سنيوريتا هاستنغز.» تفحصها من رأسها حتى أخمص قدميها بعينين سوداوين كسولتين. نبرة صوته حملت في طياتها مداعبة ساخرة جعلت شعر كارولين يتصلب عند مؤخرة عنقها.

وصوته. ذاك الصوت جعل كل شكوكها تتبخر. أحست بالم حاد. فهي تستطيع أن تتعرف على هذا الصوت في أي

مكان. انه ذاك الصوت العميق والغامض ذو النبرة اللطيفة والقوية في آن واحد.

كان هو. ولكن هذه المرة، كان الشعر الأسود المجعد جافاً ومرتباً وقد أستبدل القميص العادي المبتل والسروال القصير بهذه البذلة الرمادية الثمينة. ولكنه كان الرجل نفسه.. المنقذ. ان منقذ ليلة أمس ومديرها المؤقت هما شخص واحد.

ساد صمت مطبق. تمنت كارولين في هذه اللحظات، أن تنشق الأرض وتبتلع الناس من حولها. اجتاح جسمها موجات تارة باردة وأخرى حارة. مست بيدها المرتعشة شعرها الأشقر الطويل، احست برباطة جأشها تخذلها.

تناهى إليها صوت أمها يسألها: «كارولين؟ هل أنت بخير يا عزيزتي؟» لم تسمع صوت أمها بوضوح، أحست بأنها مشوشة الأفكار، كانت أمها تنظر إليها من تحت حافة القبعة المصنوعة من القش تنتظر الرد.

أجابتها كارولين بصوت متهدج وهي تحدق بذهول بالزائر الجديد: «أنت؟ أنت رومانو دي سيورتو؟»

العينان السوداوان كانتا تحدقان بها بسخرية: «بالطبع، أنا هو بنفسه، وقد تقابلنا من قبل، أليس كذلك؟»

كان يسخر منها. اطلت من عينيه نظرة خبث وقحة حين قال باستهزاء: «لقد تقابلنا مؤخراً في ظروف... درامية؟» أصرت اسنانها بشدة. تحولت نظراتها المذهولة إلى نظرات يتطاير منها الشر وهي تراقب تلك النظرات الساخرة الوقحة التي تتفحصها.

تصبب جسدها عرقاً. احست بقميصها الحريري المخطط باللونين الأبيض والرمادي قد أصبح رطباً على جسمها من

موجة الحرارة المشتعلة التي اخذت تزحف إلى جسدها المرتجف. هي ليست في حاجة إلى هذه النظرات الساخرة لتذكرها بالإهانة التي لحقت بها ليلة أمس. فذكرى هذه الحادثة ستبقى في ذاكرتها لمدة طويلة. وجود هذا الشخص امامها أعاد إلى ذهنها تفاصيل الحادثة المخزية التي ألحقت العار بها.

كانت تقضي أولى أيام عطلتها برفقة صديقيها دفلين وبيني في صقلية. تملك عائلة دفلين فيلا في صقلية لتمضية العطلة الصيفية هناك. وكان دفلين يقوم برحلات بحرية على متن يخت والديه.

استغلت كارولين هذه الفرصة الذهبية للقيام برحلة بحرية قصيرة بين صقلية ومالطا، تنزل بعدها في مالطا لإنجاز المهمة التي أوكلت إليها للقيام بها أثناء إجازتها، أي تولي مسؤولية العلاقات العامة في شركة رومانو دي سيورتو.

كان اليخت يقترب من شاطىء فاليتا عند الغسق، عندما وقع الحادث. كانت كارولين في غرفتها على متن اليخت تغير ثيابها بعد يوم طويل حافل ومليء باللهو والتعرض لأشعة الشمس الدافئة برفقة بيني ودفلين، عندما سمعت صوت دفلين يناديها من الأعلى لتصعد ولتراقب المنظر الرائع الذي يخطف الانفاس. وهو منظر غراند هاربر الحصين المتلألىء بالأنوار الرائعة عن بعد.

وفي لحظات كانت تقف على ظهر اليخت تراقب المنظر، وفي اللحظة التالية مر قرب اليخت قارب سريع جعل اليخت يهتز بعنف.

كان دفلين يصرخ ويتأرجح بشدة في محاولة منه لتغيير

إتجاه اليخت ليتجنب الاصطدام المحتم بالقارب السريع، ففقدت كارولين توازنها وسقطت في البحر...

بعد ذلك، أخذت كارولين تتخبط بيأس في المياه المتوسطية العميقة، وفي تلك اللحظات امسكت بها يدان قويتان وانتشلتاها من المياه. ووجدت نفسها في قارب مع شخص غريب، وهي شبه عارية.

ولاستكمال واجبه، جلب لها منقذها سترة بيضاء لتلف بها نفسها. شعرت بالراحة وهي ترتديها، كانت وجنتاها مشتعلتين من شدة الخجل.

تبع هذا المشهد المهين تبادل مختصر وسريع للعبارات الساخنة. حصل هذا الحادث بسبب قيادته المتهورة والسريعة، أما غلطتها الفادحة فهي أنها لم تكن تضع طوق النجاة حولها ليجنبها هذا الموقف الحرج.

وجهت إليه سيلاً من الاهانات ولكنه بدا مستمتعاً بغضبها: «يبدو انني قد اصطدت حورية سليطة اللسان من البحر.» قال وهو يتفحصها بدقة وكأنه يراها للمرة الأولى، بشعرها الأشقر المبتل وكأنه ستار انسدل فوق وجهها وكتفيها والسترة المتدلية حتى ساقيها، بادلته النظرات. أحست بالقشعريرة بالرغم من أنها ليلة من ليالي حزيران - يونيو الدافئة. لم تزعجها ملاحظته اللاذعة ولكنها لم تستطع منع نفسها من الشعور بالفضول.

كان منقذها مبتلاً مثلها تماماً. ركزت نظرها بمقت على وجهه الطويل الأسمر. لم تر كارولين في حياتها عينين كعينيه. كانتا مغناطيسيتين. كما اظهرت ثيابه الخفيفة جسداً رياضياً رشيقاً. وكشف قميصه عن صدر عريض

قاس. أما سرواله القصير فقد كشف عن ساقين قويتين طويلتين. لم تستطع كارولين أن تقدّر إذا كان يملك ملامح متوسطية أم شرقية أم ملامح رجل متوحش.

كانت في صراع مع أغرب ردة فعل عاطفية لم تختبرها من قبل. أحكمت لف السترة حولها. ثم تناهى إليها صوت رجل نافد الصبر يصرخ من عند المقدمة. وبعد أن رمقها منقذها بنظرات ساخرة وهازئة توجه ناحية الصوت. كانوا قد وصلوا إلى المرفأ. بعد فترة انتقلوا إلى الكاسترل.

كان منقذها قد حملها رغماً عنها وبسهولة إلى المرفأ. كان في عجلة من أمره لينجز المهمة الطارئة والغامضة. وحصل تبادل سريع بين هذا المالطي الأسمر وصديقيها وكأنها كيس من الغسيل المبتل يرد إلى مالكيه الاصليين.

أصابع قوية أمسكت يدها التي كانت تحمل زجاجة شراب. لمسة يده على يدها بعثت في داخلها تياراً كهربائياً مؤلماً. قفزت من مكانها لتستيقظ من شرودها ولتعي ما يجري حولها.

أيقظها صوت عميق قرب أذنها يقول: «يجب أن تتوقفي عن الصب عندما يمتلىء الكأس يا آنسة هاستنغز.»

حدقت كارولين بحزن إلى الشراب الذي كانت قد بدأت بصبه لنفسها: «آه..!» كان الشراب يندلق بهدوء من كأسها إلى الطاولة ومن الطاولة إلى أرض الشرفة. تركت الزجاجة وهي تراقب الفوضى التي تسببت بها.

ظهرت الخادمة كائلين مبتسمة وهي تحمل ممسحة لتنظف بها المكان. كل شيء عاد إلى طبيعته. ووجدت

كارولين نفسها تحتل مقعداً قرب رومانو دي سيورتو على طاولة الغداء.

سألها مستفسراً: «اذن، ليس هناك من تأثيرات جانبية نتيجة الحادث؟» حمل صوته نبرة ساخرة ونظرات عينيه كانت تلمع ببريق ماكر.

«لا. شكراً لك.» كان جسمها يرتعش بعنف تحت نظراته المتفحصة وشعرت بالضيق في صدرها. تصلب جسمها رافضاً تلك النظرات الوقحة.

شعرت بالكره الشديد نحوه الليلة الماضية. في الواقع، كان في إمكانها أن توجه إليه عبارات جارحة لقيادته المتهورة السريعة دون أن تدري انه سيكون رئيسها في المستقبل القريب. أما اليوم فإنها لن تغير رأيها فيه حتى بعد علمها بوضعه بالنسبة لها.

«كدت أن تغرقي.»

«نعم. أنا مدينة لك بحياتي!»

السخرية اللاذعة كانت واضحة في صوتها. تلاقت نظراتهما للحظات ولكنها اشاحت بنظرها بعيداً، بالرغم من العداوة التي تشعر بها نحوه إلا أنها عرفت أنه سيكون خصماً قوياً وليس سهلاً. فقدت شهيتها وأجبرت نفسها على تناول قليل من حساء المينستارا اللذيذ.

«لا أصدق!» كانت أمها تهز رأسها باستغراب وهي توزع نظراتها بين ضيفيها. كانت أمها نحيلة وأنيقة، ولا يدل شكلها الصغير على عمرها الحقيقي، لولا تلك الخصلات الرمادية التي غزت رأسها واختلطت بشعرها الاشقر الطويل الجميل. كانت ترتدي فستاناً أزرق فضفاضاً. كانت تقوم

بدورها كمضيفة على أكمل وجه وهي تجلس بين صديقيها المفضلين. قالت الأم باستغراب: «إنه شيء لا يصدق أن تكون أنت من انقذ كارولين ليلة أمس، يا رومانو!»

«نعم، إنه شيء لا يصدق.» لا تزال النبرة الساخرة واضحة في صوته. استدار نحو كارولين مصراً على اظهار تمتعه بموقعه كمسيطر على الوضع، ثم قال لها: «هل تعتقدين بعد أن تقابلنا في تلك الظروف... الحميمة أن العلاقة بيننا أثناء إنجازنا للعمل ستصبح وطيدة، يا سنيوريتا؟»

أجابت ببساطة: «ربما لا.» وأشاحت بنظرها عنه والتهمت قطعة لحمة من طبقها. كان لذيذاً، أكد براعة كاثلين في الطهو، واعطى كارولين الفرصة لتستجمع نكاءها الذي لم يخذلها قط.

كان يبتسم لها وعيناه السوداوان تلمعان. وقاحتها كانت واضحة له ولم تمر دون أن يلاحظها. كان يتفحصها من رأسها حتى اخمص قدميها.

«أنت لست عادلة، يا سنيوريتا. إن الحادثة... لا يمكن نسيانها بسهولة.»

اشتعلت وجنتاها لا إرادياً. هذا الرجل يبدو مستحيلاً، فهو مصمم على التمتع بالوضع حتى أقصى الحدود.

تدخلت سوزان هاستنغز وهي تضحك قائلة: «هيا، انتما الاثنان استعملا اسميكما الأولين، من فضلكما! إلا إذا كنت تفضل أن ننحني أمامك ونخاطبك بلقبك النبيل، يا رومانو.»

ساد الصمت لفترة قصيرة قبل أن تستفهم كارولين ببرودة: «لقب نبيل؟»

«أجل. بالتأكيد كنتِ على علم؟»

رفعت أمها حاجبيها مستغربة ثم ابتسمت في وجه ضيفها. بقي رومانو جامداً، لم يظهر أية ردة فعل، وقالت: «أجل بالتأكيد كنتِ على علم. ان الكونت رومانو دي سيورتو هو مالك كاسا سيورتو في مادينا.»

تمتمت كارولين: «يا للروعة!» وتعمدت إظهار السخرية في صوتها: «لماذا لم تقل ذلك من قبل؟»

تمتم رومانو باستعلاء: «أنا نادراً ما استخدم لقبي، وأمك تعرف ذلك جيداً.»

ألحت كارولين قائلة بلهجة ساخرة: «لكن لماذا؟ معظم الرجال الذين أعرفهم يعلقون ألقابهم حول أعناقهم لكي يراها العالم!»

ابتسم رومانو وبدا مختلفاً بالرغم من السخرية التي غلفت صوته إذ قال: «هكذا يبدو الأمر. يبدو أشبه بالتصنيف، وأنا لا أريد أن أصنف كالبضاعة.» وأرجع رأسه إلى الوراء ثم رشف قليلاً من الشراب من كأسه.

أدركت كارولين سبب امتناعه عن استعمال لقبه، فإن عرف لقبه علناً عليه عندئذ التصرف بنبل ولباقة طيلة الوقت بدل أن يتصرف تصرفات هوجاء مثل قيادة القارب السريع بتلك السرعة المتهورة التي لا تليق بنبيل مثله.

شعرت كارولين بأنها في صراع مع نفسها ولا تعرف بالضبط ماذا أصابها: لماذا تكرهه إلى هذه الحد؟ هل هذا الكره بسبب حادث ليلة أمس؟ أم أنها لم تثق به حتى قبل أن تلتقيه؟

لديها الكثير من الأدلة التي تظهره بمظهر المتهور وغير المسؤول، أليس كذلك؟ منذ وفاة والدها وهي تستلم رسائل من والدتها تمدح فيها رومانو وتخبرها

عن الهوايات الخطرة التي تقوم بها بتشجيع من هذا الرجل البائس.

بمجهود كبير، كتمت كرهها الشديد في داخلها، إن حادثة الأمس ليست كافية لتبدأ باطلاق اتهاماتها.

بدل أن تظهر كرهها قالت بهدوء:

«حتى ليلة أمس بدوت وكأنك تريد أن تبقي هويتك غامضة! غادرت سريعاً دون التعريف حتى باسمك! كان في إمكانك أن تخبرني عن اسمك لتجنبني مفاجأة اكتشاف أن رئيسي في العمل ومنقذي هما شخص واحد!»

انحنى قليلاً إلى الأمام، لمحت ابتسامة خفيفة على شفتيه: «أخي الأصغر كان في عجلة من امره ليصل إلى غوزو، كان طفله الأول على وشك ان يولد وزوجته تعاني آلام المخاض.»

«آه، فهمت... إذاً، هذا هو السبب. هل... هل كل شيء على مايرام؟»

«رزق بصبي وهو بصحة جيدة.»

«هل وصل أخوك في الوقت المناسب؟»

«بفارق ثوان قليلة.»

خرجت كلماتها بشكل عفوي: «أنا مسرورة لسماع هذا. ونظراً لهذه الظروف، فأنا اغفر لك حادث أمس والذي كدت تتسبب فيه باصطدام محتم!»

«يا لكرمك، يا كارولين.» رافقت لهجته الساخرة تلك، نظرة ثاقبة افقدت كارولين اتزانها وشوشت أفكارها. ثم تابع كلامه: «لكنك تبالغين قليلاً، يا كارولين. فلم يكن هناك مجال للاصطدام.»

«أنا لا أوافقك.»

«صديقك دفلين اعترف بخطئه ليلة أمس لأنه تأخر بإضاءة الأنوار الكاشفة لليخت وهو يدخل منطقة غريبة عليه. ولقد اعتذر لي لعدم انتباهه. ولو وضعت طوق النجاة حولك لما حصل الحادث.» كانت لهجته تحمل اتهاماً صريحاً مما أغضبها.

فقدت اعصابها متناسية ما وعدت به نفسها كي تحافظ على هدوئها حفاظاً على سمعتها المهنية: «كيف تتجرأ وتتكلم عن السلامة والأمان؟»

«حقاً؟» لاحظت وميض السعادة في عينيه السوداوين بدلاً من أن يثور على كلماتها الهازئة. لقد أكلت الطُعم مرة ثانية ويبدو أن غضبها كان مصدر سعادة له.

لاحظت تعابير ستيفاني الجامدة وتجهم وجه أمها وهي تراقبهما عبر الطاولة.

سألها رومانو بصوت بارد مشوباً بسخرية متعمدة: «هلا وضحت لي لم لا يجب أن اتجرأ واتكلم عن الأمان، يا كارولين؟»

أجابته بإيجاز: «أنا متأكدة من أنك تعرف السبب.» كانت تبذل مجهوداً كبيراً لتحافظ على آخر خيط يفصلها عن الانفجار في وجهه. نظرت إلى أمها وهي تقول: «سامحيني يا أمي.» ورسمت ابتسامة سريعة على شفتيها ثم دفعت بكرسيها إلى الوراء بسرعة ووقفت قائلة: «هلا عذرتموني؟ ربما لا زلت أعاني من تأثيرات جانبية أكثر مما تصورت من حادثة أمس.»

كان اعتذارها غير مقنع، اخبرت نفسها وهي تغادر

الشرفة، ولكنها عرفت أنها كانت، في جميع الأحوال ستقدم أي اعتذار يخطر على بالها حتى تغادر المكان.

وجدت نفسها وحيدة في غرفة الجلوس الكبيرة، التي تميزت بنوافذها الكبيرة التي تطل على منظر رائع لحصن أنجلو. رمت نفسها على إحدى الأرائك أملاً في الحصول على بعض الراحة.

يبدو أن حادثة أمس لم تكن لها أية تأثيرات جانبية على الصعيد الجسدي بل على الصعيد العاطفي. كانت تغلي من الغضب وهي تعرف أنها تدين بحياتها لذلك الرجل المتعالي والمتعجرف والذي لا يطاق.

تنفست عميقاً. بعد المواجهة القصيرة مع رومانو دي سيورتو كانت ترتجف بعنف. أخذت تراقب نفسها من خلال المرآة الكبيرة أمامها. رأت ملامح وجهها المتوترة. لم تشعر وكأنها امرأة في الرابعة والعشرين بل وكأنها مراهقة متوترة في الرابعة عشرة من عمرها، طائشة تشعر بالخوف وعدم الأمان.

ضغطت على شفتيها. كان فمها صغيراً وجميلاً، وأهدابها طويلة سوداء فوق عينين واسعتين لطالما كانت محط اعجاب اصدقائها. ولكنها لم تكن راضية عن مظهرها.

لم تمر بهذه المشاعر المتأرجحة منذ سنوات! وكل هذا بسبب ذلك الرجل الكريه.

ربما كانت ترتكب خطأً فادحاً بقبولها العمل معه. حادثة أمس لا تطمئن. تساءلت، هل كانت مشاعرها نحوه مختلفة لو لم يحصل ذلك الحادث المشؤوم؟ هل سيبقى هذا الشعور بالكره الشديد تجاهه يغلي في عروقها؟ وهل ستفقد اعصابها بوجوده كلما وجه لها الكلام؟

خلعت حذاءها من رجليها ثم مدتهما أمامها على الأريكة، مرت بيدها فوق ذقنها الناعم. لم تكن تراقب المنظر امامها بانتباه، بل اطلقت العنان لمخيلتها. كان الخليج امامها مكتظاً بقوارب الصيد الصغيرة والجميلة.

لم تكن يوماً مشتتة الأفكار مثلما هي الآن. ما عدا تلك الفترات التي كانت تشعر فيها بالقلق على والديها. بدا لها ذلك بعيداً وهي تتذكر فترة طفولتها.

كانت في الرابعة من عمرها عندما اصيبت أمها بمرض خطير تطلب العناية الفائقة. يومها أصيب والدها بيأس كبير وتركت كارولين في رعاية بعض الأقارب اثناء تلك الفترة العصيبة. كل الذي تتذكره في تلك الفترة هي أنها كانت مرفوضة ومهملة من الجميع. ولكن بعد ذلك، عاد كل شيء إلى طبيعته. عادت أمها سالمة إلى البيت. ولكن بالنسبة لكارولين لم تنته تلك الفترة العصيبة كلياً، بل بقيت عالقة في ذهنها حتى بعد ان شبت وأصبحت امرأة ناضجة ومستقلة بذاتها. كان من الصعب أن تمحوها من ذاكرتها.

مرت بأصابعها المرتعشة على شعرها فجعلت بعض الخصل تتناثر على وجهها. لم يكن حر الصيف على أشده، فقد كان الوقت مبكراً لذلك. كان لا يزال هناك مناظر خضراء جميلة في مالطا في أواخر فصل الربيع الجميل. كانت بعض الأزهار صامدة في وجه الشمس الدافئة. لمعت الأحجار الكلسية للأبنية تحت أشعة الشمس الذهبية.

لقد استقر والداها هنا منذ ثلاث سنوات. كانا سعيدين بذلك. كان والدها في الستين من عمره، صحفي متقاعد في

توق شديد لتأليف كتاب. قابل رومانو دي سيروتو اثناء كتابته بحثاً يتعلق بتاريخ الجزيرة. ويبدو، بالرغم من فارق السن، أنهما اصبحا صديقين حميمين.

منذ أن توفي والدها بذبحة قلبية. قبل ثمانية عشر شهراً، أحست بالضياع. لم تتقبل بسهولة فكرة خسارتها له وعدم رؤيته مرة ثانية. ولكن رسائل واتصالات أمها أقلقتها. فقد أصبحت أمها بعد وفاته تمارس هوايات خطيرة مثل تعلم القفز بالمظلة من على علو مرتفع وهي في التاسعة والخمسين من عمرها.

حصل تغيير جذري لأمها، إذ أنها أصبحت كالمراهقة المتهورة التي تبحث عن المخاطر والمغامرات. وبقي اسم رومانو دي سيورتو يتردد مراراً وتكراراً: هذا الصديق المرح والشجاع حسب وصف أمها له، الذي كان يحثها على القيام بمثل هذه المجازفات. وبسبب ذلك، كانت كارولين تستيقظ ليلاً وهي تتصبب عرقاً من تلك الكوابيس التي جعلت قلبها يقفز رعباً وفمها يجف.

لكن اليوم اصبحت كوابيسها حقيقة أمامها. ظنت أنها تستطيع التغلب على مخاوفها ولكن مقابلتها لرومانو دي سيورتو شخصياً جعل الأمر مستحيلاً.

«أنت هنا!»

تصلبت في مكانها، ذلك الصوت العميق، جعل جلدة رأسها تتشنج. إلتفتت ببطء إلى مصدر الصوت، رأته يقف عند المدخل يتفحصها دون أية انفعالات، ثم مشى ووقف أمامها عند المدفأة.

«هل أنت بخير؟»

«نعم، شكراً لك، كونت دي سيورتو.»

«رومانو.»

«رومانو.» علق اسمه في حنجرتها. وجدت نفسها تكافح شعوراً بالغضب أخذ يجتاح جسمها. إذا كانت تريد المحافظة على سمعتها كامرأة ناجحة في عملها يجب أن تسيطر على اعصابها المتوترة ولا تظهرها امامه.

بدت تعابير وجهه متجهمة.

بادرها: «يبدو عليك التوتر، يا كارولين، أظن أن كبرياءك قد جرحت، أليس كذلك، أتشعرين بالاحراج من ليلة أمس؟»

احمرت وجنتاها وقالت: «نعم.» كان هذا كل ما استطاعت أن تقوله. كان محقاً. لا تريد أن تغوص في تحليل معقد للأمور قد يكشف حقائق هي بغنى عنها الآن. سوف تقبل تحليله البسيط هذا.

«لكن لماذا؟ لديك... قوام رشيق، وليس عيباً أن تظهريه.»

كان كلامه منطقياً وطبيعياً، ولكن وميضاً ساخراً أطل من عينيه. كانت نظرات عينيه تحمل عداوة مخفية. بدا رومانو دي سيورتو وكأنه يحتقرها وربما بالقدر نفسه الذي تحتقره هي.

لا تعرف لماذا تفقد اعصابها بهذه الطريقة السريعة عند وجوده قربها أنزلت رجليها ووقفت قريباً منه.

هل هذه كارولين هاستنغز، المرأة الباردة الاعصاب التي تعالج امورها بنفسها وبطريقة عقلانية؟ هل هي تلك المرأة الناجحة في عملها الخاص... التي تفقد أعصابها بسهولة بسبب رجل؟

أرعبتها فكرة ضعفها وفقدانها لأعصابها بسهولة.

أجابت أخيراً بهدوء: «شكراً للاطراء. ولكن رأيك في قوامي لا علاقة له بالأمر. أرجوك، لا حاجة بك لكي تشفق علي وعلى كبريائي المجروحة، سوف أتخطى الأمر بمفردي. لا شيء في هذه الدنيا لا يمكن نسيانه عندما نبدأ العمل...»

«آه، نعم، معك حق. بالطبع. يجب أن تزوري المكتب في اسرع وقت ممكن لكي نبدأ في وضع خطة عمل.»

حدقت في الوجه القاسي أمامها. دست يديها في جيبيها لتخفي ارتعاشهما. كانت نظراته ثاقبة كالصقر وكأنه يراها ضعيفة ومهتاجة مثلما كانت ليلة أمس.

سألت بتصلب: «متى تريد أن يكون لقاؤنا الأول؟»

«الليلة. أنت امرأة مشغولة يا كارولين، ولا أرغب في إضاعة وقتك الثمين ولن ابقيك على الجزيرة لفترة طويلة.»

«شعور نبيل منك. ولكن في أية ساعة؟» ولم تستطع السيطرة على نبرة صوتها الساخر.

«سوف أمر عليك عند الثامنة والنصف مساء. سيكون المكتب لنا وحدنا دون ازعاج من أحد. والآن هلا عدت واكملت تناول طعام الغداء اللذيذ الذي أعدته أمك خصيصاً لنا؟ وللتحلية يوجد برينجولاتا.»

«لا يعني هذا لي شيئاً.» كافحت لتحافظ على هدوئها.

«برينجولاتا هو طبق مالطي خاص، يحضر ويقدم في مناسبات معينة. قامت كاثلين بتحضيره اليوم على شرف وصولك. هل تحبين اللوز والشوكولا؟»

أومأت برأسها ببطء علامة الموافقة.

«إذن، تعالي وتذوقي قليلاً منه.»

كانت ابتسامة رومانو مقنعة بشكل مزعج، فتبعته بصمت. لا بد أنه يشعر بنشوة الانتصار، إزداد كرهها له. لن ترضى بأن تكون خاضعة لسيطرته أو تعطيه الفرصة للشعور بالانتصار. لن تظهر غضبها الآن بل بالعكس، ستبدي عدم مبالاتها لأي شيء يقوله أو يقوم به. وهذا أفضل دفاع ضده. انه ذلك النوع من الرجال الذين يحبون رؤية ردات الفعل على الوجوه.

لكن عندما وضع ذراعه على كتفها ليجعلها تتقدمه في المشي، قفزت مذعورة وكأن تياراً كهربائياً قد مسها.

علق ساخراً: «اهدأي. لن أؤذيك يا سنيوريتا. بالرغم من قلقك على سلامتك... فأنت في آمان معي!»

ابداً، فكرت في نفسها. كانت ستشعر بالأمان اكثر لو حبست في كهف مظلم. لكن لمسة اصابعه الدافئة على بلوزتها الرقيقة، بعثت فيها تياراً مكهرباً أشعل جهاز الانذار في كل طرف من اطراف اعصابها.

الفصل الثاني

تفحصت كارولين غرفة العرض التي تميزت بالجمال والغنى والترتيب بأدواتها الالكترونية المضاءة ومعدات الملاحة المعقدة التي لم تفهم كارولين طريقة عملها ولا كيفية تصنيعها فسألت: «شركة آمبل للاتصالات تزود مختلف انواع السفن بمعدات الملاحة، أليس كذلك؟»

«أجل تستطيعين قول ذلك.»

«أنا آسفة، لكن مجال الادوات الالكترونية ليس من اختصاصي.»

«وما هو تخصصك، يا كارولين؟»

كانا قد أنهيا جولتهما في صالة العرض الواسعة الخاصة به عند الميناء في مسيدا. المكان من الخارج لم يكن الا عبارة عن خليج صغير شكل حوضاً لرسو السفن يمتد على طول الساحل، امتداداً من فاليتا. وكان الزائر ينخدع للوهلة الأولى لبساطة المكان بشرفاته الخشبية المطلية باللون الذهبي، ولكنه عند دخوله إلى الصالة يجد أحدث المعدات المتطورة والمعقدة... اختلطت التكنولوجيا مع المباني اللامعة الرائعة التي يعود بناؤها إلى القرن السادس عشر.

ناقشا خطة العمل داخل غرفة العرض، حول مكتب بني واسع حيث كانت شركة رومانو تحتفل بالعيد العاشر لتأسيسها. كانت الخطة ترتكز على تكثيف الدعاية للشركة،

مظهرة جودة ونوعية الخدمات الممتازة التي تقدمها الشركة لزبائنها.

أجابته بلهجة سريعة باردة وهي تنظر إلى دفتر الملاحظات امامها وطرف القلم في فمها: «الانكليزية. على الأقل هذا ما تعلمته في جامعة اوكسفورد. أرجوك، لا تخرج عن موضوعنا الأساسي. إذاً، شركتك تستورد البضاعة من مختلف انحاء البلاد؟»

أومأ رومانو رأسه ببطء، ثم دس يده في جيب بنطاله واخرج علبة سجائره. كان رومانو قد بدل ثيابه الرسمية التي كان يلبسها عند تناول الغداء بسروال فاتح اللون رائع وقميص حريري زيتوني اللون.

«هل تمانعين في التدخين؟»

أجابت بسرعة دون تفكير: «أفضل الا تفعل.» فاجأته كلماتها، ضاقت عيناه ثم هز كتفيه استهجاناً، غير مبالٍ. أعاد العلبة إلى جيب بنطاله ثم انحنى قليلاً إلى الأمام فوق مكتبه.

«أنت على حق، أنا أحاول الإقلاع عن التدخين.»

«آسفة... بدا ذلك كأمر...» حدقت في دفتر الملاحظات امامها بصمت، ولامت نفسها لقولها تلك الكلمات السريعة المتهورة. فهذا مكتبه، في جميع الأحوال.

أجابها بابتسامة ساخرة وهو يعقد يديه فوق صدره متفحصاً إياها بدقة مما أزعجها: «لكنها صفة ضرورية في الشخصية. أنتِ... صاحبة ارادة قوية، أليس كذلك؟ نعم اعتقد انك امرأة قوية معتادة على اصدار الأوامر.»

قالت بحدة: «ليس عدلاً ان تقيّم شخصيتي ونحن لم نتقابل سوى منذ فترة قصيرة.»

«لكنك سبق وقيمتِ شخصيتي.» نبرة صوته الباردة وهو ينطق كلماته جعلتها تنظر اليه بحدة.

أحست بنظراته القوية المتفحصة تخترق ثيابها.

أخيراً قالت وهي تعرف ان الصراحة هي الوسيلة الأضمن والأسلم للتعامل مع هذا الشخص في محاولة لتلطيف الأجواء المشحونة: «أمي ذكرت عنك الكثير في رسائلها، الشجاعة وعدم الخوف، هما الصفتان المفضلتان لدى أمي. ولكن بالنسبة لي، الأشخاص الذين يجازفون بحياتهم وحياة غيرهم و...»

«كقيادة القارب بسرعة جنونية؟»

«إسمع، لا أريد اثارة هذا الموضوع مرة ثانية. لقد أتيت إلى هنا بناء على طلب منك لأنجز عملاً يا لك، سينيور دي سيورتو...»

«رومانو.»

«رومانو» صححت عبارتها بتردد.

بدا الأمر يوحي بالالفة والدفء.

وافق معها بهدوء وومضت عيناه بضحكة خفيفة وقال: «إذن، أتيت إلى هنا بناء على طلب مني، وها أنت أصدرت حكماً غيابياً على شخصيتي على أنني احمق ومتهور. وليلة أمس كانت برهاناً على اتهاماتك. مسكينة يا كارولين! هل انت متأكدة من انك ستشعرين براحة في العمل معي لبضعة أسابيع! ام ستكونين خائفة من ان حادثاً ما قد يصيبك ويورطك في مشكلة؟»

بدا الوضع بينهما مشحوناً بالتوتر في جو المكتب الهادىء. التقت عيناها بنظرات عينيه المتفحصة التي وترت أعصابها واثارتها.

بذلت مجهوداً كبيراً قبل ان تستجمع شتات افكارها وتجيب: «لا، أنت انقذتني من قبل. انا واثقة من انني سأكون بخير هنا!» أرادت تغيير الموضوع: «والآن، هل استيراد المعدات الأجنبية هو من أهم الخطوات التي تنجزها شركتك؟ اي تزويد الشركات الكبيرة بمعدات معروفة ومضمونة؟» عقدت حاجبيها وهي تستعلم. غلف صوتها هدوء اتسم بالنبرة العملية الجدية.

ضاقت عيناه السوداوان، ولم تعرف إن كان يهزأ منها أو تأثر بأدائها وعرضها للأمور.

«مئة بالمئة أنت على حق، تحليل ذكي.»

«تبدو مندهشاً؟ وكأنك توقعت ان تجدني غبية. هل بسبب اتصالاتك بـ...»

«بالعكس، سمعت عن كفاءتك في العمل.»

نظرت اليه بتجهم، وردت على مدحه قائلة: «شكراً للاطراء. ألا قل لي صراحة، لماذا استدعيتني من لندن، يا رومانو؟»

«أصدقاء لي في لندن نصحوني بالتعامل معك. قيل لي انك ذكية ولك طريقة ممتازة في التعامل مع زبائنك.»

«هل هذا كل شيء؟»

«أريد تغطية وحملة عالمية. بدا لي احضار مستشارة اعلامية من لندن فكرة ذكية.»

«أنا اوافقك الرأي. اننا نخرج مره اخرى عن موضوعنا

الاساسي. أين كنا؟ أجل الواردات. هل عندك مخازن بالقرب من هنا؟»

اعتدل في جلسته. أخذ يحدق في وجهها بنظرات مبهمة. لم تفهم كارولين معناها، تمدد في كرسيه ثم ادخل اصابع يده في شعره الأسود. وقد ارتسمت ضحكة ساخرة على شفتيه.

أخيراً أجاب: «في آت جزيرا، نستورد المعدات من جميع أنحاء اوروبا حتى من افريقيا. هذا يكفي الليلة، غداً سوف أعرفك إلى طاقم العمل في المكتب. هناك فقط اثنا عشر شخصاً في المكتب، لكنهم على درجة عالية من الكفاءة والخبرة. اقوم بارسالهم إلى الخارج بشكل منتظم ودائم لنبقى على اطلاع بكل ما هو حديث في عالم التكنولوجيا...»

كان يقودها إلى الخارج موصداً الباب الرئيسي وراءهما. بارتباك داخلي، ادركت المسؤولية التي القيت على عاتقها، وهو بالتأكيد يعرف مدى انشغالها لذلك لن يرغب في اضاعة وقتها الثمين...

أحست بتيار جارف يجتاحها ولكنه تيار اشعرها بالراحة، لأن المقابلة بينهما في المكتب مرت دون مشاكل. اي نوع من المشاكل؟ انها خائفة حتى من ان تعترف بها لنفسها. ان تتوقع مثلاً مواجهة وقاحته وتهوره مستغلاً انفراده بها في المكتب. لم يكن لديها اي دليل مادي على انه شخص فاسق ذو نزوات ويسعى وراء النساء باستمرار، وعلى استعداد دائم للانقضاض على اية امرأة في شركته. كان يمكن لليلة امس ان تكون أسوأ.

ارتجفت لا ارادياً. وغمرتها مشاعر ازعجتها. بمجرد أن تذكرت الحادثة، وشعورها بيديه تضمانها بقوة، جعلت معدتها تنقبض وصدرها يغلي.

ضغطت على شفتيها. ابتعدت بحذر عن جسم رومانو القوي والطويل إلى جانبها. أحست بالغضب من افكارها الملتوية...

في الخارج، كان هواء الليل دافئاً مقترناً بهدوء ليالي البحر المتوسط المميزة. انعشها الهواء المنبعث من البحر. توقفت في مكانها للحظات، وتنفست بعمق، متفحصة المكان من حولها. هبت نسمة خفيفة مشبعة برائحة البحر، حركت اشرعة وصواري اليخوت المتوقفة عند الميناء. انها ليلة ساحرة. والمكان بديع...

ليلة أمس، وهي تقف على ظهر اليخت، اجتاحتها المشاعر نفسها. كانت الرحلة من صقلية ممتعة ورائعة لم تعترضهما اية مشكلة، شمس ساطعة وبحر هادىء ازرق خال من عواصف المتوسط، دفعت رياح خفيفة منعشة اليخت نحو الجنوب فوجدت نفسها ذلك اليوم قبالة ساحل رائع. شاطىء ذهبي يلمع عند الغسق وسماء صافية اختلطت باللون الأحمر الجذاب لاحت لهما فاليتا من بعيد على نحو غير واضح، بدت كقلعة من العصور الوسطى تحدثت عنها كثير من القصص الخرافية...

حدق فيها رومانو وهي متسمرة في مكانها غارقة في افكارها، وقال: «سوف نذهب إلى مرفأ سانت بول. يوجد هناك مطعم جيد.»

«لست جائعة!»

قال بحزم وهو يبتسم ابتسامة عريضة مريبة: «لكن أنا جائع.» وقادها في اتجاه موقف بعيد جداً عن الطريق.

كانت سيارة رومانو الاوستن مارتن مصنوعة خصيصاً له بناء على طلب منه. كانت مزودة بجلد فاخر للمقاعد مصنوع باليد وادوات واجهزة متطورة. بالرغم من شعورها بالانزعاج من رفقته، وجدت كارولين نفسها غير قادرة إلا على الاستمتاع بالترف والراحة وهي تتخذ مكانها في المقعد الأمامي.

داعب الهواء وجهيهما حين انطلق رومانو بالسيارة والغطاء الخارجي مرفوع. كانت السيارة مريحة وباهظة الثمن بالتأكيد. وجدت نفسها تفكر في جيريمي، صديقها الاخير في لندن. ماذا سيقول عن هذه الآلة الرائعة؟ لا بد انه سيقفز من شدة الدهشة والاعجاب مع انه يقود سيارة رائعة ولكنها ليست بروعة هذه السيارة.

سألها ببرود وهو يقود السيارة بمحاذاة الساحل: «إنها ليست رحلتك الأولى إلى مالطا أليس كذلك؟»

«لا، زرت مالطا لفترة وجيزة جداً عندما انتقل والدايّ للعيش هنا...»

«ألم تعجبك الجزيرة لمعاودة زيارتها مرة أخرى؟»

«طبعاً اعجبتني، لكنني كنت مرتبطة بعملي ولم اجد الوقت لأخذ عطلة. لكن عوضاً عن ذلك، كان والداي يقومان بزيارتي في لندن. وكانا سعيدين بذلك. كنت في بداية الطريق لإنشاء مكتبي الخاص في عالم الدعاية، وانشغلت بدفع عملي إلى الأمام في هذا المجال. ولكن صادف ان

اصدقاء لي خططوا لزيارة صقلية بحراً على ظهر الكاسترل، وكانت أول عطلة لي منذ مدة طويلة...»

«اذن، انت تحبين الابحار؟»

«في طقس هادىء ومناخ دافىء.»

«فهمت، نعم طبعاً.» رمقته بنظرة خاطفة من طرف عينها. لاحظت التواء فمه وهو يبتسم بسرور قائلاً: «للحظات اعتقدت انني اكتشفت فيك روح المغامرة، يا كارولين.»

اذهلتها نبرته المتواضعة الهادئة. لماذا يثير موضوع روح المغامرة لديها ام انه يلمح بأنها لا تملكها؟ هل يعتقدها فتاة عديمة الفائدة، ترمي بنفسها من وقت إلى آخر...؟

أجابته بعذوبة: «لا يجازف كثير من الناس، بحياتهم!»

«من الصعب وصف الابحار بالمجازفة الخطرة والمميتة.»

«لا. لا أظنك ستفعل. فأنت تفضل أن تقضي أوقات فراغك في ممارسة الهوايات المحفوفة بالمخاطر والمجازفات.»

«هوايات محفوفة بالمخاطر والمجازفات؟ أجل، بالطبع، أنت تعتقدين انني اهوى المجازفة بحياتي.» كان لا يزال يبتسم.

يا لغطرسته وغروره. ان يخاطر بنفسه وبحياته فهذا شأنه، ولكن ان يحث الآخرين على المجازفة بحياتهم، فهذه مسألة أخرى... ان يدفع امها نحو الخطر فهذا من شأنها...

قال رومانو بلهجة طبيعية: «أمك تخطط لرحلة طويلة، لدي شعور بأنك لا توافقين عليها.»

عضت كارولين على شفتيها. هل قرأ افكارها بطريقة ما؟ هل عرف أنها تفكر بأمها، تحاشت النظر اليه. تذكرت خيبة الأمل التي شعرت بها عندما اطلعتها امها على الخبر. قامت بالحجز لنفسها ولصديقتها الأرملة جوان في رحلة تعارف، وستغادران يوم الجمعة. «لم اطلعك على الأمر من قبل حتى لا تعدلي عن المجيء إلى هنا، يا عزيزتي!» هكذا أطلعتها أمها على الخبر وهي تعتذر منها عندما كانتا تتناولان القهوة بعد الغداء «بالطبع سيكون البيت تحت تصرفك، اتصلي بمكتبك في لندن ساعة تشائين وبقدر ما تشائين. استطيع تحمل الفاتورة. أنا فقط منزعجة لأنني لن اكون هنا لحضور مهرجان المنارجا. انه من اروع المهرجانات الرومانسية التي تستمر طوال الليل في بوسكت غاردن في نهاية هذا الشهر. لكن رومان سيصطحبك، أليس كذلك يا رومانو؟»

اقتراح امها، جعل كارولين تشعر بالاهانة وبالغضب الشديد. كان رومانو يبتسم وهو يؤكد لأمها ان لا شيء يفرحه اكثر من اصطحاب كارولين...

اعترفت بهدوء الان: «خاب ظني قليلاً. أعني، أنا سعيدة لأجلها ولقيامها بهذه الرحلة مع صديقتها ولكنني كنت ارغب في أن اقضي برفقتها وقتاً اطول...» هزت كتفيها قليلاً عندما لمحت نوراً خافتاً ينبعث من مقهى يطل على ساحة ومظلل بأشجار النخيل الطويلة. بدت يائسة وهي

تقول كلماتها الأخيرة، لاحظت كارولين هذا في نبرة صوتها، وبخت نفسها لمصارحتها معه فهي لا تريده ان يشعر بالشفقة عليها.

«أمك امرأه مستقلة بنفسها.» هذا كل ما قاله.

لم يقم رومانو بالحجز مسبقاً، لكن ظهوره كان كافياً كي يسرع النادل لتلبية طلباته. اختار لهما افضل طاولة في المطعم في وسط الشرفة، تطل على منظر رائع للخليج. كانت قوارب الصيد الصغيرة والملونة تتمايل في مكان رسوها في المرفأ. واطل قمر بدراً كقرص فضي مرسلاً نوره فوق صفحة الماء مما جعل المياه والقوارب تتألق تحته.

جلست كارولين في مواجهة رومانو على الطاولة. شعرت بأن توترها يزداد تدريجياً. كان هواء الليل لا يزال دافئاً، حمل النسيم معه أجمل روائح الزهور. تنفست بعمق حاولت تنظيم افكارها المشتتة ولكن الشخصية القوية للرجل الجالس امامها لا يمكن تجاهلها، فسيطرت على تفكيرها.

تفحصت وجهه بامعان وهو جالس بهدوء امامها.

إنه يملك وجهاً طويلاً وقاسياً وشعراً مجعداً اسود كان يلمع تحت الضوء، وجبيناً عريضاً عكس ذكاءً حاداً، ولكن انفه كان ضخماً ومعقوفاً قليلاً. أما فمه فواسع وجميل التقاطيع، ذقنه حادة. له حاجبان كثيفان اسودان فوق عينين سوداوين عميقتين لامعتين تتلونان بمزيج رائع من اللونين الأزرق والأسود. اعطته تلك النظرة الفاتنة جاذبية قاتلة وجعلت عينيه رماديتين عميقتين ورائعتين.

درست ملامح وجهه بعناية، وجدت نفسها تتذكر رغماً عنها حادثة ذلك اليوم والأثر الكبير الذي تركته في داخلها. والصدمة الكبيرة لدى اكتشافها ان منقذها في تلك الليلة هو رئيسها في العمل، وكأنها تراه بوضوح لأول مرة...

«سوف أتخذ موضعاً للتصوير لقاء اجر.» تمتم وهو يلوي فاهه الواسع بسخرية عندما لاحظ نظراتها الثابتة عليه.

«ما هو حكمك، يا كارولين؟ هل أنا انسان طبيعي أو من نوع آخر؟»

بطريقة ما، خارجة عن ارادتها، ساد جو من الالفة والدفء بينهما. كانت نبرة صوته ساخرة ولكن حملت في طياتها سروراً ومداعبة. تركزت نظرات عينيه عليها. تلك الابتسامة الساحرة كانت تزيد من حرارة الجو وتزيد من ارتباكها وتنشر رونقاً لا يقاوم.

هذه الابتسامة الفاتنة جعلتها تتخلى عن بعض التحفظ نحوه.

لم تستطع الا ان تبادله الابتسام.

«آه، من نوع اقل من ذلك ايضاً، بالتأكيد.» اطلقت ضحكة خافتة ثم اخذت تنظر إلى اللائحة امامها وهي تشعر بنظرة سرور اطلت من عينيه وهو يراقبها، ولكنها قررت ان تتحاشى هذه الابتسامة.

كان يمكن للعشاء ان يكون كارثة ولكن جواً حميماً ساد المكان.

فكرت كارولين ان لسحر المكان تأثيراً كبيراً، كما أن أريج الزهور الذي حمله النسيم والشموع المضاءة زادت من

دفء المكان. وزينت الطاولة التي جلسا عليها بباقات الزهور التي نشرت رائحة ذكية في المكان. كان المطعم فخماً ومريحاً، يوحي بالدفء والألفة. كان طبقها لذيذاً يسيل اللعاب وهو عبارة عن خليط من اللحم المفروم والزيتون المالطي والطماطم.

اعترفت وهي تنهي طبقها: «كنت جائعة على كل حال.» وأخذت رشفة من كوب العصير.

«هذا لأنك لم تنه طعام الغداء.» اشار بطريقة جافة وهو ينظر اليها من خلال ضوء الشموع: «لقد فوتِ على نفسك طبقاً شهياً. كان خسارة كبيرة وهو طبق مالطي تقليدي فاخر، قامت خادمة امك كاثلين بتحضيره بطريقة بارعة.»

«عندما اضطرب افقد شهيتي.»

اتسعت ابتسامته حين قال: «انه اطراء لي، يا كارولين، لتجدي الراحة بصحبتي الليلة.»

ثمة شيء في عينيه، شيء ماكر عكس رغبة مبهمة، رغبة قوية جعلت قلبها يخفق بعنف بين ضلوعها. كيف سمحت لنفسها ان تشعر بالامان والراحة معه؟

خلال العشاء، كان متحدثاً لبقاً. تحدث بسهولة عن عمله وعن طبيعة الحياة في الجزيرة، وتحدث ايضاً عن زوجة اخيه سالفو وطفلهما الجديد. كلامه جعلها تشعر بالامان والثقة والأهمية وبسخافة الحياة في لندن، حيث سيطرت المادة على الجميع، وحيث جعلت كارولين نفسها أسيرة لعملها على حساب حياتها الشخصية.

يا لسذاجتها، لتدع سحر رومانو دي سيورتو القوي

يسيطر على حذرها ورباطة جأشها اللتين اعتادت على التحلي بهما في ظروف مماثلة.

نظراته الباردة المريبة اتجهت نحو عنقها ثم إلى جسدها متأملة فأحست بحرارة مرتفعة في وجهها.

استعادت رباطة جأشها وكتمت حنقها وغضبها. وقالت على عجل: «كان عشاء لذيذاً، شكراً لك، ولكن حان وقت العودة...»

نظر في ساعته وقال بتجهم: «مَ أنت خائفة الآن؟ المغامرة الوحيدة على دفتر مواعيدك في هذه الزيارة هي رحلة بحرية قصيرة لتفحص معدات امبل. استريحي، يا كارولين.»

أعقبت على كلامه ببرود: «أنا لست خائفة من شيء.»

كتمت رغبة قوية في أن تقف وتضربه تأنيباً له على لهجته الساخرة المتعمدة، ولكن وقاحته في الكلام، لم تزعجها بقدر ما ازعجتها تلك النظرة المتفحصة الجريئة التي جالت على أنحاء جسمها بدقة.

شعرت بالحيرة، أبقت عينيها مركزتين امامها على الطاولة تتفحصان لائحة الحلويات والمقبلات، دون ان ترى شيئاً. إنه يشعرها بالحرج والارتباك ويجعل قلبها يجن من سرعة دقاته مما جعل معدتها تتقلص من شدة التوتر.

اختلطت عليها الأمور، وشعرت بالفوضى تحيط بها. لم تستطع تفسير الذي يحدث لها حتى لنفسها، انه جنون، لم تثق ولن تثق به. لديها اسباب كثيرة تدفعها إلى كرهه، وجدت نفسها في وضع حميمي ليلة أمس مع شخص غريب ثم اتضح لها ان هذا الشخص الغريب هو الشخص

نفسه الذي ستعمل معه لفترة، شخص ستقيم معه علاقة عمل و...؟

«هذا الطبق هو الأفضل. انه عبارة عن جبنة مستخرجة من حليب الماعز.» تمتم محاولاً تهدئتها بعد ان لاحظ الصراع الداخلي الصامت الذي تعاني منه.

أعلنت قائلة: «لا شهية عندي.» وضعت لائحة الطعام امامها. تنفست بصعوبة، ومدت يدها عفوياً تثبت شعرها الملفوف على شكل كعكعة كبيرة.

«ربما سأستغني عن الحلوى أنا أيضاً.» تشدق في كلامه. وحملت لهجته الباردة شيئاً لم تعرف كارولين ما هو بالضبط ولكنه بعث رجفة في انحاء جسمها.

أمر الخادم: «قهوة فقط.»

اعتدل في جلسته ثم اخذ يبحث عن علبة السجائر. لكنه تذكر أنها تكره رائحة السجائر، فأعادها إلى جيبه. عكست ملامح وجهه علامات الاستغراق في التفكير قبل ان ينظر اليها مرة ثانية جاعلاً الدماء تتدفق إلى وجهها.

«كم عمرك، يا كارولين؟»

«أنا في الرابعة والعشرين...»

«كيف تحبين ان تقضي اوقات فراغك عندما لا تكونين منهمكة في عملك؟»

«لماذا تريد ان تعرف؟ هل تريد ضمي إلى طاقمك الباحث عن الهوايات الخطرة؟»

وصلت القهوة، وانتشرت رائحتها القوية في انحاء المطعم. راقبته وهو يقوم بملء فنجانين. كانت أعصاب يده السمراء مسترخية وهو يرفع فنجانه نحو فمه...

أضافت الكريم إلى فنجانها بينما شرب رومانو القهوة سوداء ثقيلة.

«اخبريني عن هذه الهوايات الخطرة التي اقوم بها.» ضاقت عيناه وهو ينظر اليها مفكراً. أخذت رشفة من فنجانها لترطب ريقها الجاف: «ربما تسلق الجبال الشديدة الانحدار ثم نزولها؟ كيف لي ان اعرف؟ ربما تمارس قفزة البانجي الخطرة من مرتفعات دنفلي؟ أو ربما القفز من الطائرات من على علو مرتفع.» ارتفعت حدة صوتها.

أجابها قائلاً وهو يداعبها بوجهٍ خالٍ من التعابير: «اذن، دعيني احزر هواياتك المفضلة: القراءة؟ التنزه في الريف؟ التطريز؟»

علقت على كلامه برقة: «نسيت تنسيق الزهور والكنفا والطهو والخياطة! وما العيب في ان تكون هذه هواياتي المفضلة؟»

ساد الصمت لفترة وجيزة ثم ابتسم. فلمعت عيناه بوميض مرح، ثم هز كتفيه لا مبالياً وقد أرخى عضلات كتفيه ولم يتحرك.

أجاب بلطف: «لا، اطلاقاً. لكن اخبريني هل لديك اعتراض على الطريقة في تمضية وقت فراغي؟»

أجابت باستهجان: «أنا أعارض فقط في حالة واحدة عندما تعرض هذه الهوايات عائلتي للخطر، ولكن أؤكد بأنني بعيداً عن ذلك، لا اعتراض لدي بتاتاً على ما يخصك، في حال اخترت الانتحار بالقفز من على مرتفعات خطرة أو التهور في القيادة والاصطدام بشيء.»

«تأثرت بقلقك علي، لكنني خططت لأعيش بصحة جيدة لسنوات طويلة.»

«أحب هذا لأمي ايضاً.» خرجت كلماتها بسرعة قبل أن تمنعها، ولكن الأوان قد فات، فالحدة القوية في نبرة صوتها كانت واضحة له.

اختفت النظرة المرحة من عينيه وحل مكانها نظرة قاسية جادة: «هل لديك اي شك في انها لن تفعل؟»

«ليس عندي اي شك في ان تعيش بصحة جيدة. ولكن ان تابع احدهم بدفعها لممارسة الهوايات الخطرة، من يعرف؟ انها قاربت الستين...»

اجاب ببطء: «ربما أسأت الفهم، دعيني استوضح، هل تعتقدين بأنني اقوم بدفع أمك نحو المخاطرة بحياتها ولي يد في تصرفاتها، يا كارولين؟»

«من المفترض ان تكون صديقها. إن احببت احداً، فعليك الاهتمام بسلامته. ولدي شعور بأن كلمة السلام غير موجودة بين مفردات قاموسك...» خرجت كلماتها بسرعة وبشكل عفوي ممزوجة بكره ظاهر في نبرة صوتها الذي كان همساً.

ساد الصمت لفترة قبل ان يجيب ببرود: «اذا احببت حقاً أحدهم، يا كارولين فأنت تهتمين بحريته. هل تفضلين أن تفرضي على احبائك العيش في فراغ ممل قاتل خوفاً من ان يعيشوا حياتهم كاملة أو يلحقوا الأذى بأنفسهم؟»

«كثير من الناس يعيشون حياتهم كاملة دون ان يخاطروا بحياتهم على نحو متعمد!»

تسارعت انفاسها، أغلقت عينيها أمام نظراته المتفحصة.

تمتم: «مسكينة يا كارولين. تحتاجين لرجل شرير في عالمك الصغير الآمن، رجل شرير تستطيعين وضع اللوم عليه في مشاكلك. هل تعتبرينني هذا الرجل؟» جاءت كلماته قاسية وجافة.

تغيرت نظرتها للأمور فجأة وشعرت بارتباك شديد. احست وكأنها تهوي في مغارة مظلمة نحو المجهول. هل تعتبره حقاً الرجل الشرير الذي استطاع الوصول إلى غور اعماقها واستطاع تحريك عواطفها التي لم يستطع احد الوصول اليها؟

لم تستطع الاجابة. ارادت الهرب في هذه اللحظات. التوتر الشديد الذي أخذ يتزايد في داخلها انذرها بخطر الانفجار الذي قد يؤدي بها في النهاية لفقدانها السيطرة على نفسها.

طلبت منه أخيراً بصوت منخفض مبحوح بالكاد سمعه: «هل نستطيع الذهاب، من فضلك؟»

أومأ برأسه موافقاً ثم اشار للنادل الذي اسرع باحضار الفاتورة. ثم قادها إلى الخارج.

عند السيارة، فتح لها الباب لتجلس على المقعد الامامي. راقبها وهي تدخل ثم تشد حزام الأمان حولها، استدار ليحتل مقعده امام المقود، ثم قاد السيارة بصمت نحو كالكارا. وحين وصلا، ركن السيارة امام المنزل ثم اطفأ المحرك واخذ يحدق فيها عابساً. مد يده ليدير وجهها تحت ضوء القمر ليستطيع النظر اليها.

استعلم بصوت رقيق: «دموع؟ لمن هذه الدموع، يا كارولين؟»

من؟ لماذا... سؤاله المفاجيء صدمها... لكنها أحست بالاختناق من شدة غضبها فتجاهلت سؤاله.

«أنا لا ابكي. تصبح على خير، يا رومانو...»

ارادت ان تفتح باب السيارة ولكنه منعها بيده التي امسكت ذراعها. شعرت بحرارة جسمه في لمسة اصابع يده على ذراعها.

لمس بيده الأخرى خدها ثم مسح دموعها عن خدها.

«بلى، أنت تبكين...» تناهى صوته اليها رقيقاً، حمل في طياته اتهاماً غير مباشر قبل ان تعرف نواياه. أدارها برشاقة ثم جذبها نحوه برقة فائقة وضمها إلى صدره الدافيء.

«أرجوك. لا...»

اختنقت كلماتها في حلقها، حين امسكت اصابعه ذقنها ليرفع وجهها إليه. والتقت عيناها بعينيه الداكنتين.

أحست بالحرارة تزحف إلى اطرافها، تلوت بغضب بين ذراعيه. لكنه عندما احتوى وجهها بين يديه ونظر إلى وجهها، توقفت المقاومة.

«كارولين...» تمتم باسمها وكأنه يخاطب نفسه فتحت فمها لتتكلم، فأسكتها بقبلة رقيقة. مرر يده في شعرها ثم هبطت إلى مؤخرة عنقها، ليستقر ابهامه فوق نبض غلى في عروقها.

وضعت يديها على ذراعيه وحاولت ان تدفعه إلى الخلف، لكنها وجدت نفسها عالقة بين احضانه. أحست

بعضلاته القوية تحت يدها، فشدت على ذراعيه لا إرادياً. كانت خيانة مشاعرها لها طعنة في الصميم أحست معها بالألم.

فجأة، وجدت نفسها حرة، إلا من لمسة يده لشعرها.

أخذ يحدق في وجهها وكأنها شبح ظهر فجأة على مقعد سيارته مجسداً له امرأة مغرية.

قال اخيراً وكأنه استعاد وعيه من غيبوبة: «غداً، سأكون منشغلاً خلال الصباح، احضري عند الساعة الثالثة ظهراً إلى المكتب لنناقش خطة العمل بالنسبة للحملة الدعائية...»

بدا وكأنه شخص آخر تأخر عن موعد ما، استعاد فجأة نبله، خرج من السيارة واستدار ليفتح لها الباب.

تكلم وكأن شيئاً لم يحدث. صدمها هدوؤه ولكنه ليس بالوقت المناسب لتحتج.

«تصبحين على خير، يا كارولين.»

بقي واقفاً قرب السيارة وهي تمر امامه في اتجاه البيت. أحست بنظرات عينيه على ظهرها وهي ترتقي السلالم. اخرجت المفتاح بيد مرتعشة ثم فتحت الباب ودخلت إلى البهو.

الفصل الثالث

بدت آمبل للاتصالات ناشطة بالحركة والاصوات، عندما وصلت كارولين في اليوم التالي عند الثالثة ظهراً إلى المكتب حسب الموعد، لكن صالة الاستقبال كانت خالية. تجولت قليلاً في المكان بين مشاتل النخيل الضخمة، كانت ظاهرياً متماسكة ولكنها داخلياً متوترة.

رنين الهواتف وأصوات مفاتيح الكومبيوتر كانت تسمع من المكاتب. تناهى إلى سمعها الأصوات خافتة آتية من وراء القواطع التي فصلت المكاتب. عبثت يدها برباط حقيبتها الجلدية ثم التفتت إلى المنظر خلفها واخذت تحدق من خلال النوافذ الزجاجية إلى المناظر الخارجية في هذا اليوم المشمس. ارسلت الشمس اشعتها القوية فوق اليخوت المطلية بمادة الكروم والنحاس. وقفت فتاة ذات شعر كستنائي طويل عند المرفأ تتحدث إلى احدهم.

بدا كل شيء مبهجاً ومغرياً ومريحاً، مما دفع كارولين إلى التفكير بالتخلي عن عملها وقضاء سنوات عمرها في العمل الشاق والقفز على متن احد هذه اليخوت والإبحار باتجاه الأفق البعيد الغامض.

قامت صباحاً بتوديع صديقيها دفلين وبيني المسافرين على متن الكاسترل. كانا عائدين إلى صقلية اليوم. تصورت نفسها تتحدث بحماس عن مغامرتها في البحر المتوسط عند سقوطها في البحر وانقاذها من قبل رجل

غريب شجاع. وتصورت نفسها تتملص من الأسئلة المحرجة بهدوء شديد.

لكن استعراض ذكريات أمس والطريقة التي قبلها فيها رومانو وردات فعلها التي ادهشتها، جعلتها تظهر حساسية أكثر من اللازم عند إثارة الموضوع.

استعادت تنظيم أفكارها. استدارت في مكانها وأخذت تتفحص المكتب الخالي، بالأحرى كانت تتأكد من مظهرها الجاد. أرادت أن تطمئن إلى مظهرها والتأكد من أنها تبدو عملية وصارمة دون أن تظهر أية لمحة اغراء. لهذا السبب ارتدت فستاناً قطنياً أسود بكمين قصيرين وفتحة عند الرقبة. وحول خصرها الصغير التف حزام باللونين الأسود والرمادي. تدلت من رقبتها قلادة، لمعت على بشرتها البيضاء. سرحت شعرها إلى الخلف وجمعته في كتلة واحدة استقرت عند مؤخرة عنقها. انتعلت حذاء اسود عملياً، ووضعت قرطين بسيطين. سلحت نفسها بالثقة قدر استطاعتها وستحافظ عليها حسب الظروف.

كان هذا امراً سخيفاً، ونظرت إلى ساعتها بنفاد صبر. لا تستطيع أن تقف هنا طوال اليوم تنتظر أحدهم ليظهر. لا عجب ان اراد رومانو استخدام خبيرة علاقات عامة، ومن الأفضل له أن يجد لنفسه فتاة استعلامات جديدة.

تذكرت جولتها في المكتب البارحة. تستطيع أن تجد المكتب بنفسها، من خلال هذه الأبواب عبر هذا الممر، التفتت نحو اليمين ثم ارتقت عدة درجات. وقفت امام باب

ضخم، نقرت على الباب الواسع نقرات خفيفة ثم دفعته ودخلت.

شهقت عند دخولها. حبست انفاسها لا إرادياً، وتدفق الدم إلى وجهها بسرعة فتوردت وجنتاها ثم انحسر تاركاً وجهها شاحباً من شدة الاحراج.

ستيفاني مارسا كانت بين ذراعي رومانو، تحيط عنقه بذراعيها وكأنها تمتلكه. انفصلا لحظة دخولها. بدت ستيفاني وكأنها فقدت توازنها. تمايلت فوق كعب عالٍ سهل الكسر. راقبت كارولين المشهد وهي مصعوقة من هول الصدمة. فيما كان رومانو يساعد ستيفاني في استعادة اتزانها. كانت عيناه تلمعان بنظرة باردة سرعان ما تحولت إلى نظرة مبهمة عندما نظر نحو الباب عبر المكتب.

«مرحبا، يا كارولين. تأخرت خمس دقائق.» اختلطت لهجته المالطية باللكنة الفرنسية وهو يلقي عليها التحية.

امتزج سخطها بعواطفها المضطربة التي اجتاحت جسمها. أرادت ان تقول له، هذا من حسن حظك. لكنها لم تفعل.

أحست بالغضب الشديد يغمرها، وكأن الكلام معلق في حنجرتها وأجابت: «وصلت إلى هنا عند الثالثة، وانتظرت في غرفة الاستقبال حوالي عشر دقائق.»

«أنا آسفة لأنني جعلتك تنتظرين، يا سنيوريتا هاستنغز. طلبني رومانو لأمر... طارىء.»

كانت ستيفاني تدور حول مكتب رومانو تجمع الملفات والرسائل. بدت صغيرة جداً. ابتسمت بتهذيب في وجه

كارولين. فاستجمعت كارولين، ما لديها من قوة وابتسمت بدورها في وجهها.

وجدت نفسها تحدق بالسكرتيرة. بذلت جهداً كبيراً لتبقى هادئة محاولة أن تعلل السبب غير المنطقي لشعورها بالكره تجاه هذه الفتاة وهي بالكاد تعرفها. كانت ستيفاني جميلة جداً، ببشرتها الناعمة وعينيها السوداوين الواسعتين وفمها الصغير الوردي وشعرها الأسود الطويل المعقود إلى الخلف يكشف عن جبين عريض جميل وحاجبين رائعين.

«لا تهتمي للأمر.» تمتمت كارولين وهي تشبك اصابع يديها خلف ظهرها. اكتشفت مصدر غضبها. شعرت بأنها... مهانة.

بعد المواجهة القصيرة ليلة أمس في السيارة وبعد المشاعر الجياشة التي اثارها فيها والتي احدثت انفجاراً في داخلها، هل دبر هذا المشهد الحميم مع سكرتيرته عن قصد؟ هل سمعة رومانو دي سيورتو بنيت نتيجة ميله إلى التورط مع نساء غير مشتبه بهن؟

غادرت ستيفاني المكتب بعد أن طلب رومانو منها إحضار القهوة.

اقترح رومانو على كارولين أن تجلس. كانت تعابير وجهه مبهمة. مشت كارولين بثبات نحو المقعد الذي قدمه رومانو لها. وجلس هو بهدوء على كرسي دوار وراء مكتب ضخم. بقيت نظراته نحوها مبهمة، ووجهه خلا من أي تعبير، تحاشت النظر إليه، ألهت نفسها بالبحث عن دفتر الملاحظات في حقيبتها، ثم أخذت

تتظاهر بتفحص المكان بتأن. وهي تلعن خفقات قلبها القوية والسريعة.

ثلاثة هواتف على المكتب، آلة تسجيل، كمبيوتر، تلكس وفاكس. وادوات أخرى مرتبة بطريقة فنية مزخرفة، ورصفت الكتب المتنوعة على رفوف خشبية مصقولة بشكل فني رائع. علقت صور كبيرة على الحائط لزوارق تبرز نظام الاتصالات الفضائية ومسبار فيديو، وجميع هذه الأدوات المتطورة تجدها عند آمبل للاتصالات. تدلت ستائر طويلة زرقاء حريرية فوق النوافذ التي تطل على الخليج، واستعيض عن التكييف الداخلي بمروحة عادية.

بدأت حديثها بفتور، متجنبة النظر إليه بشكل مباشر كي لا يرى توترها. وضعت ساقا فوق ساق وأخذت تبحث عن قلم في حقيبتها. ثم قالت: «لدي عدة أسئلة أولاً. هل هناك معرض دائم للزوارق على الجزيرة؟ قد تكون هذه الطريقة المثلى لتنطلق من خلالها بالحملة الدعائية في الذكرى العاشرة لشركتك...»

أجابها بفتور يماثل فتورها:

«أقيم المعرض في ناكسر في شهر نسيان - ابريل المنصرم. قمنا بعرض بضاعتنا هناك. ولكن هناك معرض تجاري على نطاق واسع في نهاية هذا الشهر.» الفتور الذي بدا في نبرة صوته جعلها تغلي.

«ممتاز. ربما نستطيع أن نبدأ حملتنا من خلال هذا المعرض. سوف اقوم بالاتصالات اللازمة. واتصل بمحطات التلفزيون والاذاعة. كما نستطيع تزويد اهم المجلات ببعض

الصور عن طاقمك وعن بضاعتك ومعروضاتك وعن اليخوت التي قمتم بتزويدها مؤخراً بالمعدات واللوازم الضرورية، أيضاً نستطيع الحصول على رسائل شكر من قبل الشركات المحلية التي تتعامل معك. كل هذا سيفيدنا في حملتنا. أما من الناحية العالمية فأعتقد...»

«لحظة من فضلك.» حملت نبرة صوته تحدياً لطريقتها الساخرة في أدائها «تأثرت فعلاً بهذه الكفاءة العالية. لكن امنحي نفسك بعض الوقت لتحصلي على صورة دقيقة لما يحصل هنا.»

«أظن انني كونت صورة دقيقة وواضحة لما يجري هنا.»

«حقاً؟» انذرها صوته الحاد. حدقت به فأحست بالخوف من تعابير وجهه القاسية. رأت عرقاً نابضاً يظهر في اسفل عنقه. كان ساحراً في بذلته البيضاء اللون، وقميصه الحريري الأبيض، وربطة عنق صفراء.

«أنا لست حمقاء ولا عمياء.»

نهض ببطء من كرسيه ودار خلف مكتبه، وقف امامها ثم مد يديه وسحبها بسهولة كبيرة وأوقفها أمامه، قائلاً: «بالطبع، أنت لست كذلك. لكن علينا التأكد، كما تعرفين، يا كارولين، بعد الذي حصل ليلة أمس، فقد اطلقت لمخيلتي العنان.»

«لست مهتمة اطلاقاً بهذه التخيلات، يا سنيور.»

«لا؟ هذا ليس الانطباع الذي كونته في السيارة ليلة أمس..» صوته العميق الشرس بعث في داخلها خوفاً وذعراً. ودون سابق انذار كانت بين ذراعيه وكأنها ملتصقة بحائط من فولاذ.

كان اقترابه منها مفاجأة لها. تصلبت في مكانها من هول المفاجأة منقطعة الانفاس.

اقترب منها محاولاً إلغاء المسافة القليلة الفاصلة بينهما. كان من أكثر الرجال جاذبية. اطبقت ذراعاه الفولاذيتان عليها كالرباط. شعرت بأنفاسها تتوقف وبرعشة غريبة تجتاح معدتها فتقلصها. أما رأسها فراح يدور ويدور حتى احست بالارتباك من ردة فعلها هذه.

فجأة انتفضت في مكانها. اجتاح جسمها غضب عنيف انتشلها من ضعفها... كيف يجرؤ ان يعاملها بهذه الطريقة؟ يغازل ستيفاني أولاً ثم ينتقل اليها؟ دفعته بعيداً عنها. وجدت نفسها عالقة بنظرات عينيه الساخرة التي لمعت بوميض الانتصار.

قال بصوت أجش: «لذيذة كالعسل المالطي.»

ذكرتها نظراته فجأة بالفهد النائم. كان من المستحيل التنبؤ بما يجول في خاطره. أمسك ذقنها بيده، رافعاً إياه لتلتقي عيناها بعينيه المتفحصتين. لمس بأحد أصابع يده القلادة التي كانت تلمع فوق بشرتها الندية التي اكتسبت لوناً برونزياً رائعاً من تعرضها لاشعة الشمس.

حبست أنفاسها، وتلوت محاولة التملص من قبضته.

تصاعد غضبها إلى ذروته فانطلقت شرارات الغيظ من عينيها القاتمتين ثم رفعت يدها لتصفعه.

أمسك بيدها قبل أن تصل إلى خده. ضغط بقوة على رسغها. حاولت تحرير يدها من قبضته، وحدقت فيه بتحد. ثم حاولت ضبط انفاسها اللاهثة.

قال ساخراً: «إهدأي، يا سنيوريتا، هل تريدين أن

تجدني سكرتيرتي أتعارك مع فتاة العلاقات العامة الجديدة القادمة من لندن؟»

«لن يكون ذلك أسوأ من أن تجدك فتاة العلاقات العامة القادمة من لندن تغازل سكرتيرتك وتقبلها!» ازداد غضبها وتمايلت بعنف محاولة التحرر من قبضته الفولاذية: «دعني اذهب!»

«بالتأكيد. ولكن عندما اتأكد من سلامتي الجسدية. عين سوداء وانف ينزف لن يعود بفائدة كبيرة للشركة عند عرض الصور للحملة الدعائية. أما بالنسبة لمغازلتي للسكرتيرة فلا اتذكر أنني قمت بذلك.» وصر على أسنانه بقوة غير نادم على فعلته.

وجدت نفسها حرة بعد أن اطلق سراحها فجأة. وبصمت ثقيل، حدقت فيه، وسألته وجسمها كله يرتعش غضباً:

«أتظن نفسك قادراً على التلاعب بحياة الناس؟ لا؟» فركت معصمها حيث امسكها بقوة جاعلاً الدم يتوقف عن الدوران في عروقها. حدق في يديها حيث كانت تفرك، وعبس فجأة.

«اللعنة!» كان وقع الشتيمة غير مستساغ في الأذن، بقي محدقاً في الدوائر الحمراء التي سببتها قبضته على معصمها: «عذراً، يا كارولين، لم أقصد أن أؤذيك.»

«حقاً! ربما تمتعت بذلك. انك حقاً لوغد كبير.»

تبددت كلماتها القاسية في الجو. أحست بنفسها متوترة في الداخل ومشتتة الاحاسيس والعواطف ولكنها اخفت ضعفها هذا بالمظهر الخارجي الصلب والثابت.

جاء صوته ساخراً: «تقنياً لست كذلك. ان لقب العائلة

يعود إلى القرن السادس عشر ولأن والديّ قد توفيا فأنا الوريث القانوني.»

«حقاً؟ يا للخسارة. ان تصرفاتك لا تعكس اصلك النبيل.»

سألها بسخريته المعتادة: «هل تصرفي معيب؟» تلونت سخريته بلهجة ناعمة لاذعة. وبقيت نظراته غامضة غير مبالية.

«بصراحة، لا شيء مما تقوم به يفاجئني، يا كونت دي سيورتو. أنا متأكدة من انك قادر على القيام بأي شيء!»

بعد فترة صمت ليست بقصيرة. استدار رومانو مبتعداً عنها ليجلس على المقعد خلف المكتب. اسند ظهره وهو يتفرس فيها بهدوء. كانت نظراته هذه المرة رقيقة وكأنه تحول فجأة إلى رجل آخر مهذب ونبيل يتصرف بلباقة، كما يتصرف رجال الأعمال المعصومون عن ارتكاب الاخطاء والعيوب.

من المستحيل أن تصدق أنه نفس الشخص الذي كاد يحطم يديها منذ لحظات، والذي أثار في داخلها رغبات محمومة كادت تفقدها صوابها.

أشار عليها بأن تجلس في مقعدها. فجلست بثبات.

تشدق بهدوء وهو يقول:

«إذن، يا كارولين، فأنت متأكدة وواثقة من أنني قادر على القيام بأي شيء؟»

كان تحدياً بارداً بالكاد لاحظت هذا. بدأت كلامها بحذر، واختارت كلماتها بعناية: «اعتقد بأنك معتاد على التصرف بتهور ل... لتنال مبتغاك متجاهلاً النتائج.»

«فهمت. بالنسبة لك، أنا استطيع أن اكون شخصاً عديم الاخلاق؟ مجرم خطير، ربما مهرب أو أحد القراصنة المتمدنين؟»

هزت كتفيها لا مبالية. ولكن قلبها كان يخفق بجنون. ملاحظاته الساخرة التي قام بعرضها جعلتها متأكدة من ظنونها، فأجابته: «أنت قلتها.»

«إذن، أين قيمك الاخلاقية؟ كيف تسمحين لنفسك بالعمل مع رجل لا تثقين به؟» كان يراقبها كهر يتربص بفأر.

أجابته ببرود: «إذا كنت غير مرتاح لخدماتي، فأنا مستعدة لالغاء الأمر كله، وتستطيع استخدام شخص آخر يتولى موضوع اعلاناتك...»

«أكون مرتاحاً أكثر عندما يتم إنجاز العمل في الوقت المحدد. ولكنني سألتك إذا كنت تشعرين بالراحة في هذه المهمة من الناحية الاخلاقية، يا كارولين.» نظراته عندئذ خلت من أي تعبير أو إنفعال.

«شخصياً، أنا لا اثق بك اطلاقاً، وطبعاً لن أتخذك مثلي الأعلى! على أية حال، أظن أنني استطيع أن... أفصل بين مشاعري الشخصية وعملي!»

انحنى إلى الأمام قليلاً. كانت عيناه تتلألآن بوميض قاسٍ وقال: «أنا ممتن لك. آمل فقط أنه أثناء... تحرياتك لايجاد دليل ضدي ألا تكوني قاسية علي، وتجعلي مني مجرماً بالجرم المشهود.»

وصلتها رسالته الساخرة التي تعمد إرسالها من خلال نبرته القاسية والهازئة. ازداد كرهها له. كيف سمحت لنفسها بأن تقع أسيرة جاذبيته؟ كيف سمحت لتلك

الاحاسيس المتأججة أن تسيطر عليها تحت تأثير لمساته وقبلاته؟ هل فقدت عقلها؟ انه الرجل الذي اخذ يستعرض دهاءه ومكره امامها منذ وصولها إلى مالطا، ولم يمض سوى ثمانٍ واربعين ساعة على وجودها في الجزيرة.

أطبقت أصابعها باحكام لعلها توقف الارتعاش الذي أخذ يشتد في داخلها. ان رومانودي سيورتو رجل كريه ومتعجرف لا يطاق.

نجحت أخيراً في اخراج كلماتها قائلة: «أنا لست هنا لأتحرى عن صفقاتك المريبة التي قد تتورط فيها... فإن كنت لا تزال تريد... خدماتي في العمل...»

«نعم، أريدها.»

«إذن، سوف احترم اتفاقنا.»

في هذه اللحظات، انفتح باب المكتب ثم ظهرت ستيفاني تحمل رزمة اوراق تتبعها فتاة اخرى تحمل صينية عليها القهوة. استغلت كارولين الفرصة لضبط انفاسها ولتهدئة روعها ولتستجمع افكارها المشتتة وتستعيد رباطة جأشها.

بلّغته ستيفاني بصوتها العذب الرنان: «هناك عدة رسائل في حاجة لتوقيعك، يا رومانو. لقد طلبك سالفو ليبلغك بوصول شحنة أخرى قادمة الليلة من الشرق الأوسط.»

وضعت الرسائل امامه ثم انتظرت الفتاة الأخرى لتضع الصينية على المكتب. ابتسمت لرومانو ابتسامة ساحرة قبل أن تخرج. راقبت عيناه السوداوان السكرتيرة حتى اختفت وراء الباب، وهو يبتسم ابتسامة مبهمة.

عاد ينظر إلى كارولين وقال: «حسناً. إذن سوف تبقين هنا لحضور المعرض التجاري في بالازو باريزيو الذي يبدأ في الثامن والعشرين من هذا الشهر، يليه ليلة المنارجا. انها مناسبة ملائمة لتنهي بها زيارتك للجزيرة.»

«نعم.» الصراع في داخلها بين مصداقيتها للعمل وكرهها الشديد له كان يمنعها عن النطق.

صب القهوة وقدم لها فنجانها باستهزاء صامت.

«شكراً.»

خيل إليها أن الصمت قد يدوم إلى الأبد. وأجبرت نفسها على إثارة أي موضوع لكسر الصمت الذي انذرها بخطر داهم: «ما هي المنارجا بالضبط؟»

«إنه احتفال قروي يستمر طيلة الليل، وفيه يحتفل بيوم الحصاد. يعرض المزارعون خلاله ماشيتهم، ويصاحب ذلك موسيقى فولكورية ورقص وغناء...»

توقف عن الكلام ليشرب بعض القهوة. تذكرت حماس أمها لهذا الاحتفال. شعرت بالفضول لمعرفة المزيد بالرغم من غضبها المكتوم في صدرها.

هز كتفيه ثم اعتدل في جلسته، وارتسمت ابتسامة ساحرة على شفتيه، تلك الابتسامة التي تجعل قلبها يقفز بين ضلوعها ويخفق بجنون. ثم قال: «التاريخ الحقيقي لهذا الاحتفال غير معروف بالضبط. لكن المصدر الاصلي للكلمة هو الكلمة الايطالية لومينارجا. وهذه الأخيرة تعني احتفال الانارة. سكان القرى في المناطق المجاورة وفي حدائق بوسكت والحصون حول مادينا معتادون على اضاءة مناطقهم بالمشاعل. انه احتفال رائع في الهواء

الطلق، تقع حدائق بوسكت مباشرة تحت قصر فيردادا، وهو عبارة عن قصر من القرون الوسطى، والحدائق تكون مليئة بأشجار الليمون والأناناس.»

«يبدو أن الأمر... رومنطيقي!» تلونت لهجتها بسخرية خفيفة متعمدة. لم تكن في مزاج يسمح لها بأن تظهر فيه اعجابها ولكن داخلياً اعجبها الأمر.

لوى رومانو فمه قليلاً وقال: «بالطبع هو كذلك. ووفقاً للاعتقاد المتوارث من جيل إلى جيل والذي يتعهد فيه العريس في عقد الزواج بأن يصطحب زوجته إلى بوسكت كل سنة في يوم المنارجا حيث ترتدي عروسه أجمل ثيابها.»

اعترفت وهي تبتسم ابتسامة خفيفة: «هذا رائع. انه حقاً أمر رومنطيقي.»

تلاقت نظراتهما للحظات ثم أشاحت بنظرها بعيداً وأخذت تنظر إلى دفتر الملاحظات امامها. الطريقة التي يخفق بها قلبها وازدياد سرعة نبضها في عروقها كلما نظر اليها رومانو بهذه الطريقة، كان أمراً يزعجها ويربكها. ماذا يحصل لها؟ فهي تعرف أنها أمام شخص مغرور متباهٍ، ذي نزوات و... انه نوع من الرجال لا تحب أية فتاة عاقلة أن تخاطر وتتورط معه.

«هلا عدنا إلى العمل؟ أحب أن يكون عندي مكتب وهاتف ولائحة بارقام الممولين والزبائن والصحافة ومنظمي المعرض التجاري.»

«سوف تساعدك ستيفاني في هذا الأمر. لكن علينا اولاً القيام ببعض الجولات. تعالي.» ووقف بسرعة ثم دار حول المكتب.

حدقت فيه بذهول، وقالت: «إلى أين؟»

«إلى الخارج. سوف نقوم بجولة في الميناء حيث تستطيعين تفقد بعض معداتنا في سيتو. وغداً صباحاً، سنقوم برحلة بحرية على متن أحد الزوارق لتستعرضي المعدات وهي تعمل. لذلك جهزي نفسك لرحلة بحرية.»

لم تكن متأكدة إن كانت مرتاحة او منزعجة وهي تتلقى أوامره هذه. لحقته مكرهة محاولة مجاراة خطواته السريعة الواسعة.

عندما اصبحا خارجاً، نظرت كارولين إلى الخلف فلمحت ستيفاني مارسا تراقبهما يغادران من خلف زجاج النافذة. لمحت كارولين نظرة عدائية في عيني ستيفاني، احست معها كارولين بالاختناق وبقيت عاجزة عن التنفس للحظات.

الفصل الرابع

«أنت مدعوة إلى حفلة يوم السبت، في كاسا سيورتو.» رمقها من فوق كتفه، حيث كان واقفاً عند مدخل الزورق. كانت كارولين تتجول على سطح الزورق مرتدية سروالاً قصيراً وقميصاً بلون اصفر فاتح، كان رومانو يراقبها وهي تتفقد معدات الابحار.

كانت مستندة إلى الصارية، عندما نظرت إليه كان هو بدوره لا يزال يحدق فيها، أشاحت بوجهها عنه فوراً وأخذت الشكوك تراودها. منذ ان رأته مع ستيفاني البارحة في المكتب، أصبحت تشك في كل ما يفعله رومانو. لم تستطع قراءة أفكاره، ولكنها أحست بأنها تشكل تحدياً جديداً له بعجرفته المتعالية، فهذا التحدي يجب ان يزول فوراً وبسرعة.

كان قد قام باصطحابها من كالكارا هذا الصباح ليقوما بهذه الرحلة على متن زورق من أجل تجربة الأشرعة. أخذ السور العظيم الذهبي المحاط باشجار النخيل في غراند هاربر يختفي تدريجياً. امتدت زُرقة المياه المتوسطية تحت القارب وخُيل اليها ان السماء الزرقاء تمتد إلى ما لا نهاية في الأفق. هبت نسمة شمالية جعلت أشرعة الزورق تتحرك وتساعد في زيادة سرعته. خلا المكان من الأصوات إلا من صوت الهواء على الأشرعة وارتطام المياه بمقدمة الزورق.

أجابته: «أنا مدعوة؟» كان من المستحيل قراءة أفكاره

من خلال قسمات وجهه القاسية ونظرات عينيه المبهمة ولكن شعور «القط والفأر» لازمها، بل أخذت تشعر بالخطر يتزايد منذ المواجهة الحامية في المكتب حتى زيارتها للميناء ومرافقته في هذه الرحلة.

علت شفتيه ابتسامة عريضة كشفت عن أسنان بيضاء. وسألها: «لماذا تبدو عليك الصدمة؟ ألا تحب فتيات العلاقات العامة حضور الحفلات؟»

«الفتاة التي تتحدث عنها تفضل ان تقضي أمسيات هادئة برفقة أصدقائها، والحفلات التي تحضرها هي تلك الحفلات التي تُقام من أجل مناقشة الأعمال...»

جلست قرب الدفة واتكأت على ذراع الدفة بإحدى يديها ودست الأخرى جيبها. ارتدت ثوباً للسباحة تحت ثيابها، وكأنها كانت على استعداد لمواجهة كل ما يعترضها هذا اليوم، ولكن بوجود شخص مثل رومانو، فهي لا تزال تشعر بالضعف مهما كانت طريقة لبسها محصنة ومحتشمة، ربما لأنها تعي وجوده القوي...

«إذن، تستطيعين حضور الحفلة بصفة رسمية؟»

سألته بفظاظة: «في كاسا سيورتو؟ أليس هذا بيتك النبيل في مادينا؟ تستطيع بالطبع مناقشة أمور أعمالك في مكاتبك أو في بيتك في فاليتا، أليس كذلك؟»

«أنا لم أقل أنها حفلة عمل.»

حدقت في وجهه القاسي الواثق من نفسه. كان يلبس بنطالاً أزرق وقميصاً عادياً. عاودها ذلك الشعور بخيبة الأمل في داخلها. ما مشكلة هذا الرجل؟ كيف يستطيع ان يثير فيها... هذا الشعور بالذل؟

«إذن، هي حفلة خاصة. سوف أكون دخيلة على الحفلة، أنا هنا في مهمة رسمية بحتة ومؤقتة ولا شيء أكثر...» بذلت جهداً كبيراً لإبقاء النبرة الجافة في صوتها.

ساد صمت مطبق لفترة، قبل ان يقول: «لكنني صديق العائلة، وقد طلبت أمك مني مراقبتك والعناية بك أثناء غيابها.»

لم تستطع السيطرة على نفسها. انفجرت في وجهه قائلة: «فعلت ماذا؟ لا أصدق. أنا لست طفلة!»

«ولكنك تتصرفين كطفلة.»

«أنا في الرابعة والعشرين ومستقلة، لدي شقتي الخاصة وعملي الخاص. وأنا متأكدة من انني قادرة على الاعتناء بنفسي لمدة اسبوعين على جزيرة متوسطية هادئة. شكراً جزيلاً، لا أحتاج إلى أحد ليراقبني ويعتني بي!»

أجابها بسرعة: «ولكنك تقلقين على سلامة أمك وأنت تغلين غضباً الآن عندما تنقلب الأدوار.»

عضت على شفتيها ثم أطرقت رأسها مفكرة بعد هذه الملاحظة الصحيحة والتي أزعجتها في نفس الوقت. لقد كان محقاً.

«إن علاقتك بأمي هي التي تقلقني كثيراً. لكنها كلفتك الاعتناء بي لأنها تركتني وحيدة في منزلها! يا للسخرية!» واحمرت وجنتاها تحت تأثير نظرته الثابتة الباردة.

ازداد وجهه قساوة، فشعرت بأنها قد استفزته كثيراً. لم يدم شعورها بالانتصار طويلاً. هل حقاً كان هذا انتقاداً؟ لم تكن متأكدة من ان ردات فعلها تصبح غير منطقية أثناء وجودها مع رومانو.

أمرها فوراً وهو يتفقد المعدات الملاحية: «أديري الدفة إلى جهة اليمين. سوف نتجه نحو الساحل الجنوبي. اخبريني، هل ناقشت مع امك رأيك السيىء بي؟»

«ليس كثيراً!»

ضغطت على ذراع الدفة بشدة وأدارتها بقوة لتغيير مسار الزورق.

«ألا تعتقدين بأنها سوف تشعر بالإهانة عندما تلمحين لها بأنها مسيّرة؟» كانت نبرة صوته جافة.

«لكنك عازم على أذيتها وحثها على قتل نفسها!» خرجت كلماتها دون وعي منها.

أحست بأنه يحاول ضبط اعصابه وتطلب منه ذلك جهداً وصبراً كبيرين عندما قال بجدية: «كارولين. امك امرأة راشدة. لم يؤثر فيها أحد. انها لا تقوم بهذه المجازفات بطريقة عمياء، انها فقط تمارس الهوايات التي لطالما رغبت في القيام بها. انه اختيارها وقرارها المستقل. لقد راقبت موت أبيك بعد تقاعده مباشرة، وكان هذا بمثابة انذار لها يخبرها بأنها يجب ان تعيش حياتها كاملة. الذي يدهشني أكثر هو، لماذا أنت مصممة على ايجاد كبش محرقة لمخاوفك الداخلية.»

«هذا ليس صحيحاً!» أشاحت بوجهها بعيداً عن تلك النظرات الثابتة. نظرت إلى الأفق البعيد، وشعرت بالراحة لأن قبعتها أخفت تعابير وجهها.

هل هذا بالضبط ما تفعله؟ سألت نفسها، لم يكن في نيتها الغوص في هذه المتاهة المظلمة مرة ثانية. ماذا حدث لنضوجها وثقتها الشديدة بالنفس عند الحاجة إلى معالجة

مثل هذا الموقف؟ ما هي هذه القوة التي يمتلكها رومانو كي تتقلص أمامه لتصبح كتلة أعصاب متوترة؟

ألم يحن الوقت لتتقبل الطريقة التي تعيشها أمها؟ يجب ان تحافظ على هدوء أعصابها وان تعامله بصورة رسمية ومن ثم تنجز عملها وتعود إلى منزلها. سألته أخيراً: «إلى أين نحن ذاهبان بالضبط؟» أرادت تغيير الموضوع قبل ان يلاحظ ارتباكها ويكتشف خفايا أفكارها الدفينة.

«إلى غار لابسي، انه خليج صغير لاصطياد السمك وللنزهة أو السباحة. سوف نصله عبر بلوغروتو الذي، إن وصلنا إليه باكراً، لن نجده مزدحماً.»

«كم سنبقى؟»

هز رومانو كتفيه بلا مبالاة ثم لوى شفتيه: «معظم اليوم، هل عندك مشاريع أخرى، يا كارولين؟»

شعرت بطوفان جارف يغمرها. لماذا فكرة وجودها في هذا المكان المريح يُثبط من عزيمتها ويرهبها؟ احتجت بشدة: «اعتقدت ان الرحلة ستدوم ساعتين لا أكثر! ماذا لو كنت لا أرغب في القيام بنزهة إلى... غار لابسي وزيارة بلوغروتو؟»

«ولكنك في صحبة رجل يريد القيام بهذه الرحلة. إذا لم تتصرفي بلباقة سوف أندم على يوم انتشلتك من البحر. فحوريتي السليطة اللسان يجب ان تحسن تصرفاتها!» تشدق في كلامه غير آبه لاحتجاجاتها.

أجابته بغضب: «إذا كنت حورية سليطة اللسان فأنت بالنسبة لي رجل متوحش، تحشر نفسك في شؤون الآخرين،

تنقض عليّ في سيارتك وتتهجم علي في مكتبك، وعملياً فأنت تخطفني اليوم!»

أطلق رومانو ضحكة عالية، فحدقت فيه بحقد شديد.

اقترح عليها مداعباً: «إذا كنت رجلاً متوحشاً كما تصفينني، فربما هذا نتيجة تأثري بكثرة الكهوف في الجزيرة، عندنا مجموعة تبهر الأنظار وتحبس الأنفاس، تستطيعين اختيار ما شئت.»

«يا للروعة...»

قال متجاهلاً سخريتها: «دعينا نرى. عندنا كهوف حيث تحطمت سفن المبشرين، وعندنا أيضاً كهوف حيث دخلت الفتيات العذارى ولم يرجعن، وكهوف أخرى حيث أغوت الحورية كاليبسو يوليسس بطل ملحمة هومر خلال رحلته إلى ايثاكا بعد حربه مع طروادة، ويوجد كهف عال عند المنحدرات سوف نمر من أمامه اليوم في منطقة غارحسان وهو عبارة عن كهف مُحاط بالخرافات والأساطير.»

اتسعت ابتسامته وهو ينظر نحوها من خلف كتفه، وتابَع قائلاً:

«ماتيلدا بانسيني، المربية عندنا، اعتادت ان تروي قصصاً عنه. كنت طفلاً عندئذٍ، وكنت أحلم به كثيراً لأنني صدقت هذه القصص وقتئذٍ. في كل مرة زرنا المكان كان سالفو وأنا، نتوقع ظهور شبح حسان أمامنا فيقوم بقطع أعناقنا بخنجره، حتى بعد ان عرفنا أنه كان يسعى وراء الفتيات الصغيرات وليس الأولاد.»

«ماذا أخبرتكم؟» خرج سؤالها بطريقة عفوية ووجدت

نفسها تتصور رومانو وأخاه ولدين صغيرين يملكان خيالات واسعة غير حقيقية.

تقدم نحوها قرب الدفة، وقال: «أشك... في أن ماتيلدا قد قامت بإضافات وزخرفات للأساطير المحلية بطريقة تناسبها! اسمعي القصة. تبدأ القصة بأن كهف غارحسان كان يقطنه غرباء قبل ثمانمئة سنة مضت واستعملوه كمخبأ لهم. ولسوء الحظ، كانت هواية حسان هي خطف الفتيات الحواري وحبسهن في كهفه كسجينات، وبعد معاملتهن بطريقة فظة يقوم بإنزالهن إلى قوارب صغيرة لنقلهن إلى السوق وبيعهن كعبيد...»

«انتظر قليلاً... قبل ثمانمئة سنة مضت...»

قامت كارولين بعملية حسابية سريعة: «هل هذا قبل أو بعد قدوم محاربين مالطيين واستيلائهم على المكان؟»

«قبل. التاريخ المالطي معقد. لقد تعرضت الجزيرة لكثير من الغزوات حتى ان بعض هذه الغزوات لا يأتي التاريخ على ذكرها. لقد وصل الفرسان إلى هنا سنة ١٥٣٠ (ألف وخمسمائة وثلاثون) وغادروا سنة ١٧٩٨ (ألف وسبعمائة وثمان وتسعون). كانوا من الطبقة الارستقراطية قبل ان يستعملوا مهاراتهم القتالية ضد الغزو التركي. قبل ذلك، كانت الجزيرة مُستعمرة من قبل الاسبان الذين تخلوا عنها مقابل ثلاثين ألف قطعة ذهبية للرواد الصقليين. بدأ الاستعمار المشؤوم سنة ١١٢٠ (ألف ومائة وعشرون) في غار حسان.»

«ماذ حصل للمستعمرين؟»

«حسب رواية ماتيلدا فإن حسان قد ارتكب الخطأ المحرم بوقوعه في حب احدى الفتيات المخطوفات والتي اغوته فاندفع وراء غريزته العمياء، فقامت تلك الفتاة بطعنه بخنجره.»

علقت كارولين بحماس: «عمل متقن.»

«لكن مصيرها كان مأساوياً. ركضت الفتاة بعد ان اقدمت على فعلتها مذعورة في الظلام فسلكت الممر الخطأ في اتجاه البحر بدل اليابسة فانزلقت وهوت على الصخور في الاسفل.»

«آه، لا يوجد عدل في هذا العالم.»

ضحك رومانو. راقبته كارولين من تحت قبعتها ولاحظت التغيير الرائع في وجهه وهو يضحك. شعرت بانقباض في معدتها.

«هل هذا كل شيء؟»

«اعتادت ماتيلدا على اخبارنا بانه عندما يكتمل القمر ويصبح بدراً فان هذه القصة تمثل مرة ثانية...»

«أشباح؟ وأنت صدقتها؟» سمعت صدى صوتها، فابتسمت رغماً عنها.

أعقب رومانو بلطف: «كنا صغاراً، وكانت ماتيلدا راوية قصص ماهرة.»

«أتخيلها كالغول!»

«أخبرتنا تلك القصص في ليالي الشتاء المظلمة حول المدفأة في المطبخ. كانت موسوعة للقصص الخرافية والأقوال المأثورة. من أجمل المقاطع في احدى قصص ماتيلدا هو ما أصاب ابنة احدى العائلات.»

توقف رومانو قليلاً وبدا غاضباً. نسيت كارولين نفسها فمدت يدها ولمست يده، شعرت بحرارة تحت اصابعها. فانتابها الذعر وابعدت يدها بسرعة.

حثته قائلة: «تابع، ماذا حصل للفتاة؟» واحمرت وجنتاها قليلاً.

تمتم قائلاً: «انظري إلى تلك المنحدرات هناك» وأشار باصبعه في اتجاه مجموعة من الصخور حيث تتكسر الأمواج بقوة مصدرة اصواتاً وزبداً أبيض: «يقع الكهف هناك. تصلين اليه عبر قمة المنحدر هنا.»

نظرت حيث أشار. حمت عينيها بيدها من اشعة الشمس القوية: «لا ارى شيئاً، اين الكهف؟»

«من الصعب رؤيته من هنا.»

«إذاً...؟ ماذا عن فتاة ماتيلدا هذه...؟»

«آه، أجل. تعود هذه القصة إلى زمن بعيد عندما كانت التقاليد المالطية صارمة للغاية. وهذه القصة لها علاقة باحتفال المنارجا في بوسكت غاردن. في القديم، عندما تصبح الفتاة في سن الزواج، يعلن أبوها هذا الخبر بوضع آنية من الحبق امام عتبة منزله. فيرسل الرجل الذي يبحث عن زوجة بامرأة مختصة بتدبير الزيجات إلى بيت أهل الفتاة. وعندما تتم الصفقة، يمنع أهل الفتاة ابنتهم من مغادرة بيتها حتى موعد الزفاف. الفتاة في قصة ماتيلدا تدعى لويزا. كانت لويزا قد خطبت لشاب غيور يدعى أنطونيو. وكانت فتاة غيورة ومتمردة. وقع الاثنان في غرام بعضهما من النظرة الأولى ولكن لويزا لم تثق بوفائه لها كزوج. عرفت يوماً

أنه ذاهب إلى احتفال المنارجا في بوسكت ولم تجد سبباً يمنعها من الذهاب ايضاً. غادرت منزلها خلسة متجهة إلى الاحتفال. التقت هناك رجلاً آخر عرفته من قبل فرقصت معه، لكن انطونيو اكتشف أمرها، فسمعه بعضهم يلعن لأنه وثق ببراءة خطيبته. من العادات المالطية أن من يلعن الطبيعة يجلب لنفسه الحظ العاثر. فتبع ذلك الحادث نهاية مأساوية خرافية وغريبة، فقد اختفى الاثنان، ولكن تم العثور عليهما في غار حسان بعد مرور عدة اسابيع.»

«ميتّان؟»

«نعم.»

«إذاً، إذا لعنت الطبيعة، فإن روح حسان تظهر وتزهق روحك!»

«هذه العبرة من القصة على الأقل وحسب رواية ماتيلدا.»

«إنها من أغرب القصص التي سمعتها!»

«أليست كذلك؟ كانت ماتيلدا امرأة تتمتع بأخلاق عالية. أظن بأنها قصة تحذيرية، للتأكيد على ضرورة الثقة بين العشاق. سوف نقترب من الشاطىء، انزلي المرساة ان بلوغروتو هناك.»

بعد ساعة، كانت كارولين مستلقية على ظهر الزورق واضعة يدها بكسل على جبينها. حاولت تركيز نظرها. كانا قد أخذا الزورق الصغير السريع لاستكشاف الكهوف الطبيعية في البلوغروتو وتنفيذاً لأوامر رومانو، أبقي الزورق الكبير في عرض البحر بعد أن وجدا الخليج الصغير مزدحماً.

اختار منطقة منعزلة وهادئة ثم رمى المرساة في البحر. تناولا طعاماً كان رومانو قد احضره وابقاه كمفاجأة.

هناك، شعرت بالفوضى والارتباك عندما ادركت مدى استمتاعها برفقة رومانو الرائعة وانسياقها وراء دفء وترف قناعة التمتع التي آمن بها رومانو، وهي القناعة التي تقوم على أن اللذة والسعادة هما الخياران الرئيسيان في الحياة. أكلت جبنة محلية لذيذة وكعكة محلاة وقريدس طازجاً. تبع هذه الوجبة كعكة بالسمسم وفريز مالطي لذيذ جداً.

تحدثا بكسل من وقت إلى آخر بشكل متقطع عن أشياء كثيرة. اكتشفا خلالها سمات مشتركة بينهما، كحضور الأوبرا، ممارسة رياضة المشي الطويل، لعب التنس الركض والتمارين الرياضية. شعرت بالخطر لأن كرهها له ـ كونه شخص مستهتر ـ لم يمنعها من التمتع بوقتها.

ربما لأنها أحست البارحة عندما كانت في مكتب رومانو وهي تراقب اليخوت من النافذة بالرغبة في الهرب، عندها فقدت حس الاتجاهات وهي الآن وسط البحر الأزرق الهادىء، والمنحدرات المالطية الصخرية إلى الشمال وأفريقيا، البعيدة حوالي مئتين وثلاثين كيلومتراً إلى الجنوب، تستمتع بالمحادثة مع رومانو عن القصص الخيالية والاساطير، وكأن سحراً قد وقع عليها.

«انها المرة الأولى التي أراك فيها مرتاحة.» علق رومانو بدقة بينما كان متكئاً على أحد مرفقيه بالقرب منها.

«هل تريدين شيئاً تشربينه؟»

«أفضل ألا افعل. أريد أن اسبح.»

قال محذراً: «ليس الآن. لا بد أن الابحار قد فتح شهيتك. لكن المياه هنا عميقة.»

«أنت لا تريد أن تقوم بعملية انقاذ أخرى؟»

«هذا صحيح. فأنت لا تبدين في أحسن حالاتك وأنت مبللة، عكس السمكة الطازجة الشهية.»

رفعت نظرها لتحديد تعابير وجهه. فجسم رومانو الطويل وعضلاته الفولاذية القوية وشعره الأسود المجعد شكلت خطراً بالنسبة لها، وقربه منها أربكها. اخذ القلق يزحف إلى جسمها والذي بدأ من معدتها ثم انتقل إلى شبكة اعصابها في جميع أنحاء جسمها مما سبب لها ضيقاً في التنفس.

أجابته بهدوء: «بدوت مخيفة، أليس كذلك؟ قليل من الناس يبدون في أحسن حالاتهم بعد أن يتم إنقاذهم من الغرق وجرهم من الوحل.»

«جر من الوحل؟ لا استطيع وصفها بهذه الطريقة، ان منظرك كحورية يلائمك، لكن طبعك حام. أريد فقط أن استعلم عن سبب غضبك مني عند انتشالك من الماء يا كارولين.»

شعرت بالانزعاج من النبرة اللطيفة في صوته العميق الذي لا يقاوم.

أجابته بإيجاز: «معك حق. يجب ألا اغضب من أن أجد نفسي في ثوب السباحة مع شخص غريب وفي وضع غريب.» كانت السخرية واضحة في صوتها.

بحركة سريعة، أمسك بيديها الاثنتين بيد وباليد الأخرى رفع قبعتها عن رأسها. أشاحت بوجهها بعيداً. أمسك ذقنها

بيده وأدارها لتواجهه. شعرت بالضعف وهي تجلس في مكانها. فتحت فمها لتحتج فمنعها بوضع اصبعه على فمها.

قال مبتسماً: «أنا في حاجة للسباحة.» استقام في وقفته ثم أخذ ينظر إليها بعينين عميقتين جعلتاها تغرق مرة ثانية في دوامة التشتت. مد يده وأمسك بيدها ورفعها لتقف امامه: «وأنت في حاجة للسباحة أيضاً.»

تمتمت من ورائه: «نعم... أنا أيضاً في حاجة للسباحة.»

تبعته كالمسحورة إلى مؤخرة القارب. راقبت جسده القوي وهو يغطس بخفة وبسهولة في المياه الزرقاء. شق طريقه في الماء بضربات قوية في اتجاه الشاطىء.

أحست بالضعف والضياع كلياً. نزلت إلى الماء الباردة ببطء.

هل احتاجت فعلاً للسباحة؟ إذا كان عقلها هو الذي يسيطر على مجمل تصرفاتها فلماذا تركته يقبلها ويحاول إثارتها؟ إنها لا تعرف ماذا تريد...

الفصل الخامس

«لإجراء إتصالات... يجب أن تطلبي رقماً ما.» صوت رومانو الساخر جعل كارولين تقفز من مكانها.

نظرت ببلاهة إلى سماعة الهاتف في يدها ثم أعادتها إلى مكانها قائلة: «آسفة، كنت شاردة الذهن.»

«استطيع أن أرى ذلك.»

جلست في مكتبها الصغير المطلي باللون الأبيض، حيث اصطفت رفوف سوداء على جوانبه، كما كان المكتب يطل على موقف للسيارات. بدا رومانو ضخماً ورشيقاً، وكان قد وصل من رحلة بحرية مع زبون على متن أحد اليخوت. اشتمت رائحة مياه البحر المنبعثة من قميصه الأسود الفضفاض والسروال القصير. اتكأ على طرف مكتبها وأخذ يتفحصها بتلك النظرة الباردة. كانت لديه القدرة على ارباكها.

«هل أنت مرتاحة في جحر الأرانب هذا؟»

«طبعاً، ليس عندي مشكلة.» حافظت على هدوء صوتها.

إنحنى برأسه إلى الأمام متفحصاً وجهها عن قرب. كانت عيناه تحدق بها بسخرية. قال لها: «تستطيع ستيفاني أن تجد لك مكاناً ملائماً أكثر للعمل. بماذا كنت تفكرين، يا كارولين؟»

«أنا...» بحثت عن أي شيء تقوله «كنت افكر بالطريقة المناسبة لنعرض فيها مبيعاتك في المعرض التجاري

المقبل، ربما نستطيع استخدام فيديو نعرض فيه معارضك ومعداتك وآلاتك وفريق عملك.»

بدا غير مكترث، إذ قال: «عظيم. لي صديق يملك شركة تصوير، سوف أزودك برقم هاتفه.»

فتح باب المكتب في هذه اللحظات ودخلت ستيفاني تحمل فنجان قهوة إلى رومانو. نظرت إلى كارولين وهي تبتسم إبتسامة صغيرة، وكأنها توقعت مسبقاً رؤية علامات الدهشة على وجه كارولين عند رؤيتها في مكتبها.

«هل ترغبين في فنجان قهوة، يا سنيوريتا هاستنغز؟»

«شكراً. تبدو فكرة رائعة...» حاولت كارولين ان تبتسم ولكن ستيفاني غادرت بسرعة. عضت كارولين على شفتيها، وكأنها تلقت لتوها طعنة الهزيمة.

كانت علاقتها مع ستيفاني علاقة رسمية جداً. راقب رومانو ستيفاني وهي تغادر، ثم اعاد نظره إلى كارولين، وسأل مستفسراً: «هل كل شيء بخير بينكما؟ هل ستيفاني متعاونة معك؟»

ترددت قبل أن تقول: «آه، نعم. لا بأس بها.» واخذت تعبث بشريط الهاتف بأصابعها ثم أضافت ساخرة: «لأكون صريحة معك... اعتقد ان ستيفاني تحسبني... منافسة لها على استحواذ مشاعرك.»

«منافسة على استحواذ مشاعري؟» أرجع رومانو رأسه إلى الوراء وانفجر بالضحك، فاعتراها الغضب الشديد. حدقت بغضب في وجهه الساخر. كيف اعتبرت ضحكته هذه جذابة في أحد الأيام. كان ساخراً ومتهكماً. كرهته بشدة.

أكدت بغضب: «قلت إنها تحسبني، ولم أقل انني كذلك.»

وقفت فجأة وقد غمرها شعور بالرهبة من المكان الضيق، لم تستطع احتمال وجودها مع رومانو المتهكم في مكتب صغير كهذا. نظرت إلى ساعتها، فخطر لها العذر المناسب لتستأذن.

قالت بحزم: «أنا آسفة... يجب أن اغادر، فإن أمي ستغادر الليلة ووعدتها بتوديعها. لم يخطر ببالي أن الوقت قد تأخر إلى هذا الحد.»

قال بسرعة وهو يقف: «سأصطحبك في القارب السريع.»

«لا تزعج نفسك. استطيع اللحاق بالباص.»

«تستغرق الرحلة في الباص عشرة اضعاف ما تستغرقها في القارب. ولا إزعاج ابداً، فأنا اريد توديع أمك ايضاً قبل مغادرتها.»

لحقت به بصمت إلى الخارج. لم يكن أمامها خيار آخر، ولم تكن في مزاج للمجادلة، بالإضافة إلى ذلك فإنه على حق. لن تتمكن من الوصول في الوقت المحدد إذا استقلت الباص.

رمقها بنظرة مبهمة عندما اخذت مكانها على القارب السريع: «علينا أن نتحدث.»

«حقاً؟ عن ماذا؟»

«عن الذي حصل على متن القارب ذلك اليوم.»

أجابته بصوت بارد ظاهرياً: «لماذا علينا التحدث عن ذلك؟»

«كان شيئاً مثيراً ومن الصعب تجاهله، ألا تعتقدين ذلك؟»

أجابته بتعال: «أعتقد بأننا نقوم بالعمل الصواب بتجاهله» تمنت أن يتوقف قلبها عن خفقاته المجنونة

هذه. منذ ذلك اليوم أي منذ يومين، عاملا بعضهما بصورة رسمية باردة، أو بالأحرى إن رومانو هو من بدأ معاملتها بهذه الصورة الباردة منذ عودتهما من بلوغروتو، وكأنه فقد حماسه تجاهها وصرف النظر عن مغازلتها.

ساد الوئام بينهما داخل المكتب اثناء انجاز العمل، إذ شكلا فريقاً رائعاً في تعاملهما معاً في الأمور المتعلقة بالعمل والخطط التي وضعت للمعرض التجاري. ولكنه بعيداً عن ذلك كان متحفظاً غير مهتم بها، بل أمضى معظم وقته مع ستيفاني. والشيء الذي ازعجها أكثر هو... أنها اهتمت.

«كان... حادثاً عابراً.» اكملت جملتها بصوت مرتعش.

ردد كلماتها بنبرة ساخرة: «حادث عابر؟ هل هكذا كان؟ لا؟ هل تقومين بعلاقات عابرة كثيرة في اثناء عملك، يا كارولين؟»

اندفعت تجيب بتحد مرير: «آه، بالتأكيد! فأنا أرمي نفسي هكذا على جميع زبائني!»

زمجر صوت المحرك، تحركت كارولين لتجلس على أحد المقاعد. وغادر اليخت المرفأ.

داعب النسيم شعرها، فحله من رباطه. بحثت عن نظارتها الشمسية السوداء في حقيبة يدها لتخفي عينيها خلفهما. أخذت تراقب الحصون والقصور الضخمة القديمة التي تعود إلى القرون الوسطى والدعامات الصخرية المرصوصة على طول الساحل.

بدأ يتكلم ببطء: «بالنسبة لستيفاني فإنها قد تكون نسجت تخيلات عن...» بدا وكأنه يأخذ وقته في الكلام

بالرغم من قصر الرحلة، ثم تابع قوله متأملاً: «وليس بالضرورة انني أبادلها تخيلاتها.»

أراهن على ذلك، فكرت بمرارة. لا شك أن ستيفاني لم تكن وحدها التي تنسج التخيلات عن الكونت دي سيورتو العظيم.

سألت بنبرة ساخرة ولاذعة: «هل تعني أنك لم تشجع الفتاة ولو قليلاً؟»

«تناولنا العشاء معاً فقط بعد يوم عمل طويل. ورافقتني ذلك اليوم لتناول الغداء عند أمك عند نهاية الأسبوع، ولكن لا شيء أكثر.»

«إذاً، عندما صادف ان رأيتها بين ذراعيك ذلك اليوم في المكتب، كانت قد فقدت توازنها كما تقول؟»

ضحك رومانو وأجاب: «نعم، هذا ما حصل.»

«مقنع جداً.»

«ماذا عليّ أن افعل كي اجعلك تصدقين؟»

«أنت تضيع وقتك...» كانت ترتعش من الغضب. هل توقع حقاً أن تصدقه؟

أصبح صوته فجأة هادئاً وقوياً وهو يتقدم بالقارب ببطء في اتجاه المرفأ الصاخب في كالكارا: «الذي حصل على متن القارب ذلك اليوم بعد النزهة كان مميزاً. كان مميزاً جداً بشكل كافٍ، حتى يجعلني اتخذ خطوات متقدمة. هل تقولين انني أضيع وقتي في محاولاتي لاختراق حاجزك العقلي؟»

شعرت بالخجل الشديد من كلماته الرقيقة وهمست: «توقف، فهذا غير عادل. أنا هنا في عمل ولا شيء أكثر، أنا

لست مهتمة بإغراءاتك الرخيصة، يا رومانو! ألا تستطيع أن تفهم هذا؟»

أوقف رومانو محرك القارب، وادار رأسه ونظر إليها، ثم لوى فمه الكبير بسخرية وقال: «لو لم تكوني متجاوبة معي، ربما كنت قد فهمت...» حملت نبرة صوته مداعبة جعلت قلبها يقفز من بين ضلوعها: «دعينا نعلن الهدنة. لندع الأمور تأخذ مجراها الطبيعي.»

رجعت إلى الوراء بغضب شديد. وقالت: «أنت لا تستسلم أبداً. أليس كذلك؟ أن ندع الأمور تأخذ مجراها؟ لأي شيء؟ حتى تحصل على مرادك، وبذلك تكون قد أحرزت انتصاراً آخر؟»

أجابها بنعومة: «أنت تتكلمين وكأن الرغبة من طرف واحد، وكأنني أنا فقط أرغب فيك. هل أنت دائماً غير صادقة مع نفسك يا كارولين؟»

«إياك أن تتجرأ وتخبرني عن نفسي.»

تحركت بسرعة لمغادرة القارب، ولكنه تبعها بخطوات سريعة يسد عليها طريق الخروج. وقف أمامها طويلاً وعملاقاً. داعب خصلة من شعرها، وقال: «اعتقد أنك لا تعرفين نفسك.» كانت عيناه مركزتين على شفتيها المرتجفتين من شدة التوتر.

أجابت بصوت مخنوق: «أنت تتكلم بكل... وقاحة الرجال وعجرفتهم. دعني وشأني يا رومانو.»

جاء صوته أجش عميقاً: «لكنني تركتك وشأنك على متن القارب بعد نزهتنا. كنت استطيع الحصول عليك آنئذ دون الحاجة إلى استعمال القوة.»

«لا!» لمعت في رأسها أضواء حمراء مؤلمة من شدة الغضب من كلماته الوقحة المقصودة. رفعت يدها وصفعت وجهه. هذه المرة استطاعت الوصول إلى وجهه بصفعة قوية. انزلت يدها بسرعة مخلفة وراءها بقعة حمراء على خده الأسمر.

لم يتحرك. خيل إليها وكأن دهراً مر وهما يقفان في مواجهة بعضهما دون حراك. تنفست بسرعة وكأنها انتهت لتوها من مجهود جسدي كبير. ضاقت عينا رومانو وتحولتا إلى كتلة سواد وهما تراقبانها. أحست بغضبه فتراجعت إلى الوراء غريزياً.

«مرحباً!» ظهرت سوزان هاستنغز أمامها مبتسمة وأخذت تنقل بصرها بين رومانو وكارولين وعلامات الدهشة واضحة في عينيها: «هذا رائع. انتما الاثنان أتيتما لتوديعي.»

لا بد أن أمها رأت المشاجرة الصغيرة من على شرفتها. فكرت كارولين بارتباك. ماذا رأت يا ترى؟

انحنى رومانو ليقبل أمها وابتسامة دافئة علت شفتيه. إنها المرة الأولى التي تشاهد كارولين هذه الابتسامة الحنونة في وجهه.

قال رومانو محدثاً أمها: «نعم، هل أنت متأكدة من انني لا أستطيع أن أوصلك إلى المطار؟»

«لا. ان غوين صديقتي قد اهتمت بالأمر. فقد حجزت سيارة أجرة منذ شهر! في الواقع وصلتما في الوقت المناسب، فقد تحدثت غوين معي عبر الهاتف لتعلمني بوصولها بعد حوالى عشرين دقيقة. ادخلا لتناول شيء مرطب حتى وصولها.»

جلسوا على الشرفة في الطابق الأول حول الطاولة. تولى رومانو أمر تحضير المرطبات. ابتسمت سوزان وهي تقول: «لست مضطربة من رحلة الطيران ولكن مشروباً مرطباً يساعد كثيراً.» تناولت كارولين كأسها بصمت، وأحست بأنها على وشك الانهيار.

«انها قساوة مني لاتركك وحيدة هكذا.» كانت أمها تخاطبها.

«ستكون كارولين بخير. سوف تأتي إلى كاسا سيورتو غداً مساءً.» أرجع رومانو نفسه إلى الخلف واسند ظهره على الكرسي وأخذ يرشف كأسه بتلذذ ثم تابع كلامه موضحاً: «انه اجتماع عائلي بمناسبة ذكرى ميلاد كريستيان الأولى.»

أجابت أمها بسرور: «ابن أناليسا، إذا ستكون إيل كويسيجا؟»

أومأ رومانو برأسه موافقاً وهو يبتسم.

«إيل... ماذا؟» شعرت كارولين بالفضول، ومن هي اناليسا هذه؟

لأول مرة منذ دخولهما المنزل، نظر رومانو إليها مباشرة، فشعرت بالقشعريرة تجتاح جسمها، بالرغم من هدوء اعصابه وتعابير وجهه الهادئة إلا أنها عرفت أنه لم يغفر لها الصفعة القوية.

أجابها بهدوء: «أناليسا هي أختي. إيل كويسيجا هو تقليد مالطي قديم. وهو عبارة عن حفلة تقام بعد مرور سنة على ولادة الطفل.»

أضافت سوزان إلى تفسير رومانو الموجز البارد: «إن

اختيار الطفل لاغراض تعرض عليه تدل على مهنته في المستقبل. إنه شيء آخر سيفوتني بذهابي في هذه الرحلة برفقة غوين!»

أجاب رومانو مداعباً: «لا تهتمي. سوف تحضرين حفلة عيد ميلاد ابن سالفو بعد سنة من الآن. دوني التاريخ في مذكرتك.»

سمعوا بوق سيارة امام المنزل. وقفت أمها بسرعة وهي تقول: «وصلت السيارة، سأغادر حالاً. كارولين إذا كنت ذاهبة إلى الحفلة، فاقضي الليلة هناك في كاساسيورتو، رومانو لن يمانع. تستطيعين استعارة سيارتي اثناء غيابي، ولكن لا أحبذ فكرة قيادتك للسيارة مسافات طويلة وفي ساعة متأخرة ليلة السبت.»

«أمي!» لم تستطع كارولين الاعتراض، لأن أمها دخلت المنزل وأخذت تستعد للمغادرة. انزل رومانو الحقائب وتمتم قائلاً وهما يلوحان لأمها في السيارة الصغيرة المبتعدة: «شيء طبيعي أنها ستبقى الليل كله.» حمل صوته في طياته ضحكة خفيفة.

«إلى اللقاء، يا رومانو. إلى اللقاء، يا عزيزتي. تمتعي في الحفلة والمنارجا.»

عندما اختفت السيارة، استدارت كاروين وعادت على اعقابها إلى المنزل. اجتاح جسمها موجة غضب عارمة جعلتها غير قادرة على النطق، تبعها رومانو بصمت إلى الشرفة.

قطع رومانو الصمت أخيراً وقال: «يبدو لي أن القلق مبتادل بينك وبين أمك.» كانت نبرة صوته باردة تحمل في طياتها سخرية لاذعة.

«تقريباً. غير أن قلقها عليّ غير ضروري.»

«على العكس فإن سوزان تتحدث عن خبرة. ان كالكارا منطقة آمنة في كثير من النواحي، ولكنها أيضاً كمنطقة سكنية تحتوي على أجناس مختلفة. أنها ليست المكان الملائم لفتاة شقراء جميلة لتعود بمفردها في ساعة متأخرة ليلة السبت.»

«ألا تظن أنك تبالغ في مخاوفك السخيفة؟»

«ليست الطرق ايضاً بين هنا ومادينا أو أي مكان آخر مكاناً مناسباً لامرأة شابة وحيدة.»

«إذاً، ماذا تقترح أن أفعل؟ أسجن نفسي عند الغسق كل مساء؟»

«غير ضروري. سوف أنفذ رغبات أمك، يا كارولين، وأقدم خدماتي كمرافق لك...»

انفجرت غاضبة: «لا أريد خدماتك اللعينة كمرافق.» ورمقته بنظرة متقدة. كانت منفعلة لدرجة انها تستطيع صفعه مرة ثانية.

سمعته يلعن بصوت منخفض. مشى رومانو في اتجاهها. أمسك ذراعيها بقوة وجذبها نحوه. وجدت نفسها بين ذراعيه. قيد حركاتها واحتجاجاتها بقوة حديدية. التصقت به، لم يكن لديها الوقت لالتقاط انفاسها فقد أسرع بتقبيلها.

تمتم بذهول:

«لم التق بامرأة عنيدة في حياتي من قبل.»

«ان الاطراء لن يوصلك إلى شيء. لن أثق بك أبداً، يا رومانو! لا أهتم بالطريقة الذكية التي خدعت بها أمي...»

أجابها بصوت متهدج: «أنت مصممة على التفكير بالسوء بي؟»

وجالت يداه على كتفيها وشعرها، دافعاً إياها بقوة نحوه. ثم قال بخشونة:

«أنت متأكدة من تهوري وفسقي واخلاقي الفاسدة، ماذا غير ذلك؟ هل أقوم بتهريب البضائع؟ ربما أتعاطى أيضاً تجارة الرقيق؟»

دفعت بنفسها بعيداً عنه وهي تصيح:

«أخبرتك بأنني لا أثق بك! كيف أعرف الطرق التي يختارها الكونت دي سيورتو النبيل لتسلية نفسه؟»

أجاب وهو يصر على اسنانه: «استطيع أن اقدم عرضاً الآن؟» شحب وجهه من شدة الغضب، ولمعت عيناه بوميض أسود مرعب. أمسكت يداه كتفيها بخشونة. فشعرت بالخطر المحدق بها.

واختنق صوتها وهي تهمس: «رومانو، أرجوك، لا...» بدت علامات الخوف واضحة في نبرة صوتها، فأحس بخوفها فأطلق سراحها فوراً. كان وجهه قاسياً كالصوان وتعابيره غامضة.

استفسر بنعومة: «أنت تعتقدين فعلاً بأنني استطيع أن أؤذيك يا كارولين؟» ضاقت عيناه وهو يراقب وجهها المتوتر.

«أنا... أنا لست متأكدة...» شعرت بالدوار. احاطت نفسها بذراعيها. شعرت ببرودة جسمها بالرغم من دفء الجو. كان الهواء مشبعاً برائحة البحر. كانت كل ذرة في جسمها ترتعش وكأنها في ليلة شتاء باردة.

ساد الصمت فترة قصيرة قبل أن يبتعد رومانو عنها ويرشف ما تبقى في كأسه من شراب ثم أعاد الكأس إلى الطاولة مصدراً صوتاً خفيفاً، قائلاً ببرود: «يجب أن اذهب.» واتجه نحو الباب ثم أضاف: «غداً السبت. سوف اكون في المكتب في فترة الصباح ولكن لا اتوقع قدومك إلى المكتب غداً، خذي عطلة واذهبي للتسوق وعرضي جسمك لحمام شمس أو اذهبي للسباحة. افعلي أي شيء تريدينه.»

عندما نظرت في عينيه رأت تلك الابتسامة الساخرة، بقيت تعابير وجهها جامدة. لسبب غير واضح شعرت وكأن روحها تفارقها. ماذا تريد بالضبط؟ هل تريد أن تنغمس في علاقة عاطفية؟ هل يجب أن يكون البديل مؤلماً ومأساوياً؟ لم تكن متأكدة من الذي يفتعل الآلام، هي أم رومانو؟

أجابته برقة ولكن نبرة صوتها اتسمت بالاشمئزاز: «شكراً.» يبدو أنه لم يلحظ سخريتها.

«هل ستكونين بخير هنا بمفردك الليلة؟»

أجابت بنفاد صبر: «نعم، طبعاً! كنت اعيش لوحدي في لندن لن اتعرض لأي أذى في هذه الجزيرة الصغيرة الهادئة.»

«في لندن، أنت مواطنة انكليزية، أما هنا فأنت اجنبية، ولهذا تكونين اكثر تعرضاً للأذى. سوف أكون في شقتي في فاليتا الليلة. رقم هاتفي في الدليل في حال تعرضت لأية مشكلة.» كان يتكلم ببرودة.

أجابت دون وعي منها: «اراهنك بأنني استطيع أن أرتدي

ثوباً ضيقاً وانتعل كعباً عالياً واتجول في شوارع فاليتا الليلة دون التعرض لأية متاعب.» لم تعرف ما الذي جعلها تقول هذه الكلمات.

قست تعابير وجهه وتحولت نظرات عينيه إلى كآبة. طافت نظراته المبهمة في وجهها الأبيض قبل أن يعلق على جملتها الأخيرة بقوله: «أسلكي شارعاً ضيقاً وإلا خسرت الرهان.» نصحها ساخراً واستدار مبتعداً وهو يقول: «تصبحين على خير، يا كارولين.»

«تصبح على خير.»

سمعت صوت خطواته تنزل السلالم، ثم صوت الباب يغلق وراءه. بعد فترة قصيرة شاهدته يسير برشاقة بخطوات سريعة في اتجاه الرصيف. بدا طويلاً وجذاباً، جذب إليه انظار النساء في الجوار. كانت لا تزال تضم يدها بشدة وكأنها في حالة دفاع. راقبته يقفز بخفة ورشاقة إلى متن القارب. أدار محرك القارب وتحرك به مخرجاً إياه بمهارة من الخليج، جمدت في مكانها ثم أحاطت نفسها بيديها. اختفى ولكنه لم ينظر في اتجاهها مرة أخرى.

تذكرت بعد أن اختفى أنه لم يحدد لها الوقت الذي سيمر بها لاصطحابها غداً مساء.

حسناً. اقنعت نفسها، واستدارت مبتعدة عن المنظر ثم اخذت تجمع الأكواب إلى المطبخ. ربما هذا يعني أنه قد يغير رأيه، لأنه لا يرغب في وجودها هناك في كل الأحوال. ألم يكن هذا ما تريده؟ بيت رومانو العائلي القديم والمدينة المحاطة بالأسوار في مادينا. يبدو الأمر رومنطقياً وهي لا تريد أن تجد نفسها في جو كهذا. ما أن ينتهي المعرض

التجاري فإنها ستعود بسرعة إلى لندن. والأفضل لها الآن أن تخلد إلى النوم باكراً.

استلقت في فراشها بعد ان تناولت العشاء وحيدة. تقلبت في فراشها بيأس، محاولة تجاهل انقباض معدتها في كل مرة تتذكر فيها رومانو.

أحست بارتباك لا تعرف مصدره. لقد أثارها، واخافها أيضاً. كرهته لدرجة أنها لا تهتم برؤيته مرة ثانية. فهي لم تثق به، كل ما تعرفه عنه انه قد يكون تاجر رقيق أو مهرباً.

اجتاحتها موجة غضب عارمة. تقلبت في فراشها مرة ثانية محاولة نسيان تلك التخيلات التي تراودها. ولكن كلما فكرت بادعائه المتعجرف وتأكيده الوقح بانها كانت له، جاهزة ليحصل عليها، ازداد موقفها عدوانية وهي تحس بكرامتها المجروحة والمهانة.

زحفت افكار متهورة ومجنونة إلى رأسها. ماذا لو كان يخفي وراء مظهره وأصله النبيل الذي خدع أمها به شخصاً آخر شريراً؟ استلقت على ظهرها محدقة في السقف ومصغية إلى الأصوات الآتية من الخليج. لو تجري تحريات سرية وتكشف شيئاً.

لا شيء مخالفاً للقانون بالطبع. حتى وهي تشعر بالاشمئزاز تجاهه، فإنها لم تشك بالكونت رومانو دي سيورتو يقوم بأعمال مشبوهة. لكن عليها مواجهته، فبعد استخفافه بها، هي في حاجة إلى بعض البراهين لتأكيد مخاوفها... ماذا اعتاد الناس ان يقولوا: لا تغضب بل خذ بثأرك؟

اغمضت عينيها. وأحست بالارهاق الشديد. لم تعرف

بماذا تشعر. كانت مجروحة في الداخل ولكنها، عكس ساندريللا، لا تريد الذهاب إلى الحفلة.

تمنت لو أنها لا تذهب، فهي تشعر بالإذلال. ان الكونت رومانو دي سيورتو سوف ينكث بوعده إلى أمها ويحذفها من قائمة ضيوفه خلال فترة اقامتها في مالطا.

الفصل السادس

كان السوق في فاليتا مزدحماً. سارت كارولين بمفردها بين المباني القديمة الشاهقة في شارع ميرشانتس، في زحمة يوم السبت. شعرت بالراحة في فستانها الأبيض القطني الناعم ونظارتها الشمسية القاتمة. هل يرجع الفضل في ذلك إلى التسوق؟ تساءلت ساخرة. إذا كان ذلك حقاً السبب، فإنه فعلاً علاج فعال! لأنها نسيت ليلتها الماضية المضنية.

كانت قد غادرت باكراً إلى فاليتا بعد تناول الفطور السريع الذي كان عبارة عن كعك محلى بالعسل والقهوة، ثم قامت باتصال سريع إلى لندن فتحدثت مع سكرتيرتها الوفية أنجي لتطمئن على سير الأمور في المكتب وبعدها توجهت إلى السوق. نجحت في إيجاد موقف لسيارتها في زحمة السيارات ثم بدأت جولتها في المحلات. ووعدت نفسها بفنجان قهوة عند أول مقهى عندما تشعر بالتعب.

وقفت امام كشك لبيع أغطية طاولات مالطية جميلة. كانت تمسك بأحد الأغطية بين يديها عندما لمحت رومانو الذي كان يقف في الشارع المقابل في ظل أحد الأبنية الشاهقة. كان يضحك ويهز برأسه. بدا جذاباً في قميصه الصيفي وبنطاله القطني الكاكي. كان يتحدث إلى أحد ما. بدا لها وسيماً لدرجة أنها لم تستطع أن تبعد نظرها عنه. أحست

بتسارع نبضها وبألم في حلقها، فقط من مراقبته عبر الشارع المزدحم.

اجتاحتها رغبة قوية في الهرب قبل أن يراها، بدأت تعيد الأغطية إلى مكانها، ولكن الأغطية انزلقت من يديها المرتجفتين نحو الأرض من شدة ارتباكها، وكأن أصابعها قررت أن تعصي أوامرها. وبخت نفسها بعنف لرعونتها. وفي هذه اللحظة نظر رومانو هنيهة قبل أن يرفع يده ليلقي التحية. لمحت كارولين بسرعة رفيقته. كانت الفتاة في عمرها تقريباً، ذات شعر اسود طويل مجعد. علت شفتيها ابتسامة رقيقة. انها ليست ستيفاني. إذن، هناك فتاة اخرى قد وقعت تحت تأثير جاذبية رومانو التي لا تقاوم؟

«صباح الخير، يا كارولين.» إنحنى برأسه ليقبل بحرارة الفتاة الواقفة امامه مودعاً، ثم اتجه نحو كارولين مخترقاً الحشد الكبير من الناس. رأت عينيه الضاحكتين ولكن نظرة باردة غلفتهما. وقف قربها وسألها: «هل تفكرين بشراء هذه؟» كان وجهها مضرجاً بالاحمرار.

«لا، لكنني لا استطيع ترتيبها، يبدو أن لها طريقة خاصة بها...»

أخذ الأغطية من بين يديها المرتجفتين وأعاد ترتيبها ثم أعادها إلى الكشك. كان البائع يراقب المنظر بنفاد صبر. راقبته بدورها وهو يرتب الأغطية، اجتاحتها موجة خجل. في كل مرة يكون رومانو قربها تفقد السيطرة على أعصابها. عضت على شفتيها ثم وجدت نفسها تنظر في وجهه المبتسم فبادلته الابتسامة رغماً عنها.

قال ساخراً: «على الأقل تستطيعين أن تشكريني.»

أجابته بنبرة جافة: «شكراً لك. لا أعرف ما هو السبب، ولكنك تجعلني أتصرف بقلة لباقة عند وجودك قربي.»

«لاحظت ذلك.»

ساد صمت مطبق بينهما، ثم سار سوياً في اتجاه الميدان العام في قلب المدينة. مرت قربهما عربة يجرها حصان فيها سائحان يضحكان بصوت مرتفع.

سألته من باب اللياقة: «هل ذهبت إلى المكتب؟»

«لا. قررت الغطس بدل الذهاب إلى المكتب.» كان شعره لا يزال رطباً.

«أين؟»

«بالقرب من كومينو، حيث يوجد عدد كبير من الكهوف.»

وصلا إلى المنعطف المؤدي إلى الميدان، فتوقفت كارولين قليلاً وهي مترددة في ما ستفعله.

سألها بتهذيب مبالغ فيه: «هل كنت تتسوقين طيلة الصباح؟ فأنت تحملين اكياساً كثيرة.»

لتحافظ على هذه الهدنة المؤقتة، أخذت تعدد له الأشياء التي ابتاعتها، وشاح مزركش لبيني وشال مالطي جميل لأمها ومسند كتب لجيريمي.

«جيريمي؟»

نظرت إلى وجه رومانو وهو يردد اسم جيريمي بين شفتيه. أحست وكأن قلبها سيتوقف عن الخفقان. كان وجهه قاسياً خالياً من التعابير وعيناه قاتمتين.

«إنه... صديق في لندن.» أخذت تنظر إليه بتحد. لم تر وجهه بوضوح لأنه كان يقف مواجهاً للشمس مما جعل عيناه أكثر قساوة وغموضاً.

«صديق فقط؟»

هزت كتفيها بلا مبالاة لتساؤله. هي وجيريمي كانا يتقابلان بصورة منتظمة، ولكن عمله كموظف بنك وعملها كمديرة مكتب علاقات عامة، لم يتح لهما الفرصة للتقرب أكثر من بعضهما. لم يتواعدا بشكل رسمي، وكان هذا الوضع يناسب الطرفين.

«انه صديقي.»

كان صوته طبيعياً وهو يستفسر أكثر عن الموضوع: «هل هي علاقة جدية؟»

أجابته باستخفاف: «ان علاقاتي الشخصية تخصني أنا وحدي، وأنا لا اسألك عن علاقاتك.»

«ربما يجب أن تفعلي.» اتسمت نبرة صوته بسخرية آمرة لا بد أنه تمرن لسنوات عديدة لإتقانها.

«أنا لست مهتمة.» شعرت بارتباكها المتزايد وفقدانها هدوءها. لماذا تسمح له بالتأثير عليها هكذا؟ السبيل الوحيد لمواجهته هو البقاء هادئة والمحافظة على الرسميات وأن تكون ودودة.

علق على كلامها مستهزئاً: «لم اعرف مبلغ تفاهتي وعدم اهميتي كشخص حتى الآن.»

وصلا إلى مقهى راقٍ قرب المكتبة. وصلت رائحة القهوة الذكية إلى انفيهما. علت الضحكات والقهقهات والهمسات في الداخل. وشعرت كارولين بألم في رجليها وجفاف في حلقها.

قالت ببطء: «أظنني سأتوقف هنا. لقد وعدت نفسي بتناول القهوة منذ أكثر من ساعتين.»

«هل عندك مانع إن شاركتك؟» بدا طلبه مهذباً ولكنه كان مغلفاً بنبرة ساخرة.

«لا، طبعاً لا.»

جلسا في ظل احدى الشمسيات. أخذا ينظران إلى بعضهما عبر الطاولة. بقيت نظراته باردة وساخرة. وشكرت كارولين الصدفة لأنها تضع النظارة السوداء لتخفي تعابير وجهها، ولتمنع نفسها قليلاً من الخصوصية.

«نحن نتعامل بلياقة هذا الصباح، ألم تلاحظي؟»

وافقت بهدوء: «أجل، ولكن إذا كنت ترغب في أن اكون فظة، فاسمح لي بأن اقول أنك آخر شخص رغبت في لقائه هذا اليوم.»

أرجع رأسه إلى الوراء مطلقاً قهقهة ثم قال: «هذا أمر طبيعي. ولكن لدي طرقي الخاصة لتغيير الوضع، لذلك دعيني أقدم لك القهوة». ثم أشار إلى الخادم الذي أسرع بالحضور لتلبية الطلبات.

راقب الخادم وهو ينصرف ثم سأل فجأة:

«هل تربطك علاقة حميمة بجيريمي؟»

احمر وجهها قبل أن تجيب: «اهتم بشؤونك الخاصة.» لا فائدة منه. فكرت بغضب أنه يستحيل عليها أن تحافظ على هدوئها بوجوده.

«إذن، لا.» التقت نظراته الباردة بنظراتها المتقدة.

سألته بخشونة: «هل تربطك علاقة حميمة بستيفاني؟»

«لا.» وضاقت عيناه من التوتر.

أشاحت بنظرها بعيداً، وأخذت تنظر نحو الميدان

المزدحم. سمعت اصواتاً بلهجات متعددة من الطاولات المجاورة كالانكليزية والايطالية والمالطية والعربية.

كانت في صراع داخلي مع نفسها. كان رومانو كعهدها به، متعجرفاً واستفزازياً بشكل متعمد. ولكنها رغم ذلك كانت تدين له باعتذار، وهو قرار توصلت إليه بعد أرقها الطويل ليلة أمس وهي تتقلب في فراشها. ان أمها امرأة راشدة مسؤولة عن تصرفاتها، وهي من سعت ولا تزال تسعى وراء تلك المغامرات. والغريب في الأمر، انها لم تعِ هذا الأمر، إلا عندما اخذت أمها تطلق تلك التحذيرات السخيفة حول قيادتها وحيدة في الليل.

وصلت القهوة. رشفت كارولين عدة رشفات من فنجانها قبل أن تأخذ نفساً عميقاً وتقول: «أنا حقاً لا أهتم إذا أقمت علاقات حميمة مع ستيفاني و... ونصف دزينة من النساء الراغبات. ان الأمر لا يعنيني. ولكن يجب أن اقدم لك اعتذاري.» كان صوتها يرتعش وهي تعترف، وضغطت بأظفارها على راحة يدها في حجرها.

سألها بلطف: «تابعي؟»

صمتت للحظات وهي تشعر بثقل الجو: «كنت مخطئة في توجيه اتهامي إليك بشأن أمي وتصرفاتها المتهورة. لقد ألقيت عليك اللوم. لـ... للتغيير الحاصل في شخصيتها. ولكن، أستطيع أن أرى الآن أن لها الحق في اختيار نمط حياتها الخاص بها. هي حرة مثلما أنا حرة في اختيار حياتي.»

علت شفتيها ابتسامة شاحبة وتابعت: «لقد اكتشفت هذه الحقيقة عندما استيقظت هذا الصباح. أنا قلقة جداً على أمي

المريضة، وهي بدورها تبادلني القلق نفسه في الأمور الخاصة بي. انه أمر مضحك، أليس كذلك؟»

ساد السكون قبل أن يقول أخيراً: «علامة كاملة للشجاعة. لا بد أن الأمر كلفك كثيراً يا كارولين.»

«هل تعني اعتذاري لك؟»

«تماماً، ان كرامتك هي أهم شيء عندك. ألا توافقين معي؟»

ارتشفت قليلاً من القهوة. أحست بذهنها مشوشاً وكأنه توقف عن العمل تحت تأثير وجود رومانو وشخصيته الساحرة التي لا يمكن أن تقاوم.

كان رومانو يحدق في وجهها عندما تكلم: «جميعنا نحيا حياة واحدة، يا كارولين. بعضنا يحيا هذه الحياة بحذر مخافة التصرف بعفوية. ولكن غداً أي شخص منا قد يكون متوفياً. لا أحد يقول انه يجب علينا المخاطرة والمجازفة بحياتنا ولكن يجب أن نعيش كل يوم بيومه. وفلسفتي في الحياة شبيهة بفلسفة أمك.»

أخذت تحدق في وجهه. ودفعها فضولها لتسأله السؤال الذي يحيرها: «متى ولماذا توصلت إلى هذه الفلسفة؟»

أجاب بعد لحظة صمت: «منذ عشر سنوات مرض شخص عزيز عليّ ومات.»

حثته على المتابعة: «لست متأكدة من انني فهمت.»

«كانت فتاة في التاسعة عشرة فقط. كانت خطيبتي وترك هذا الحادث اثراً كبيراً في نفسي.»

راقبت وجهه المحتقن رغم تعابيره الجامدة، ودون وعي منها مدت يدها ولامست يده تواسيه: «آه، رومانو، أنا آسفة، كيف ماتت؟»

«سرطان الدم. حدث هذا منذ عشر سنوات.» قال جملته الأخيرة باستهزاء ثم نظر إلى يدها التي وضعتها على يده.

«لا احتاج إلى شفقتك، يا كارولين.» فسحبت يدها بسرعة. رشف من فنجانه ثم هز كتفيه استهجاناً. صدمتها برودته وعدم مبالاته. أحست فجأة بالاحراج لأنها أظهرت مشاعرها أمامه.

وضعت فنجان القهوة على الطاولة بسرعة، وأصدر ارتطامه صوتاً خفيفاً. أخذت تستعد لمغادرة المقهى، ولكنه أمسك بيدها محاولا منعها ثم قال لها وهو يبتسم: «لا حاجة بك للهرب.»

تصلب جسمها من شدة الغضب واجابته ببرودة:

«أنا لست هاربة إلى أي مكان، أنا فقط... ذاهبة. سوف أقوم بجولة تعرّف لمعالم الجزيرة في سيارتي.»

أمرها بنعومة: «تعالي معي. التفرج على معالم الجزيرة لن يكون أمراً ممتعاً.»

«انها مسألة رأي.» حررت ذراعها من قبضته. حملت أغراضها ثم اندفعت، مغادرة المكان بسرعة. عرفت أنه سيتبعها اطبقت يداه القويتان على كتفيها بقوة، فوجدت نفسها بين ذراعيه دون مقاومة.

تمتم قائلاً:

«كارولين، إهدأي.» كان في نبرة صوته مداعبة خفيفة ولكن علامات الغضب لا تزال واضحة فيه: «أنا سعيد لأنني التقيتك هذا الصباح. كنت سأصطحبك من المنزل. أنا اعرف انها عطلة الأسبوع. ولكنني في حاجة إليك اليوم لمناقشة بعض الأعمال المتعلقة بالعلاقات العامة مع صديقي،

صاحب شركة في كاسا سيورتو قبل الحفلة، واريدك أن تحضري الاجتماع.»

لم تجب. كانت قريبة منه، تستطيع سماع دقات قلبه. شعرت بحرارة صدره وقوة ذراعيه.

اعترضت بقوة، وحاولت تحرير نفسها: «إذا اردتني أن احضر لقاء عمل فأنت لا تتصرف كرجل أعمال محترم.»

كانت مشاعرها تدور في دوامة لا قرار لها. اتسعت عيناها على نحو غير إرادي وأخذت تدفعه عنها، ولكنه بدل أن يطلق سراحها، أحنى رأسه وقبلها. إحساسها بعجرفته اغضبها.

رفع رأسه وأخذ ينظر إلى وجهها المتورد، قائلاً بهدوء: «وأنت لا تتصرفين اطلاقاً بشكل عملي، يا سنيوريتا هاستنغز. من الأفضل أن نعلن الهدنة في الأربع والعشرين ساعة المقبلة، حتى نستطيع العمل معاً، من يعرف أي عمل أحمق قد نقترفه إن لم نسيطر على انفسنا.»

أخيراً استطاعت اخراج كلماتها من فمها الجاف بصعوبة: «أرجوك، دعني.» احست بالاختناق.

وجدت نفسها حرة وسمعته يقول:

«سوف أمر لاصطحابك من كالكارا عند الثالثة. استعدي لقضاء الليلة في الكاسا سيورتو.»

«هل هذا أمر ضروري للعمل؟»

«لا. هذا لإبقاء أمك سعيدة، لأنها إن اكتشفت أنني سمحت لك بالقيادة ليلاً فلن تغفر لي أبداً.»

«استطيع الاعتناء بنفسي.»

«تقولين هذا باستمرار، لكنك سوف تستمتعين بقضاء

الليلة هناك وليس لدي أية نية في اغوائك. ان مدبرة البيت خليفة ماتيلدا، ستقوم بلعب دور المرافق والمراقب.» قال هذا بابتسامة ساخرة.

لم تجد كارولين فائدة من المجادلة. هزت رأسها بعصبية ولم تقل شيئاً، فقط استدارت وسارت في اتجاه ميدان بالاس ومنه إلى سيارتها التي اعطتها الشعور بالأمان ولو بصورة مؤقتة. كانت تغلي في داخلها، احترست أثناء قيادتها مخافة أن تصدم احداً ما وهي في حالتها المشوشة... كيف يجرؤ رومانو على وضعها تحت أمرته لتفعل ما يشاء ولتطيع اوامره؟ انها في مالطا بناء على طلبه، ولكنها ليست خادمته. قد تكون أمها قلقة عليها وهذا أمر طبيعي، ولكنه ليس مجبراً على تنفيذ رغبات أمها. فلو كانت في السادسة عشرة لتفهمت الأمر ولكنها في الرابعة والعشرين، عاشت لوحدها لسنوات ليست بقصيرة. انها لا تحتاج لمربية أو لوصي.

ان رومانو يعرف ذلك، وانه يفعل ما يفعله ليغيظها، ولسبب ما يستمتع بهذا. فكرت وهي تقطع المسافة بين الخزانة وسريرها بعصبية وتكوّم ثيابها داخل الحقيبة دون ترتيب أو نظام. هل يعود السبب لأنها أكلت الطُعم بسهولة؟

هل لقاء العمل في كاسا سيورتو مجرد حجة ليرغمها على حضور الحفلة؟

رمت علبة الصابون داخل الحقيبة ثم اغلقتها بعنف.

فكرت ان أنسب طريقة لمعالجة هذا الوضع، ربما هي

أن تحافظ على هدوئها وأن تتجنب مجادلته. إبقي هادئة وابتسمي بلباقة رداً على سخريته، كوني عاقلة ورصينة. إنهي العمل دون أن تفقدي ما تبقى لك من كرامة، لا تضعي نفسك في مواقف محرجة. يجب أن تحمي نفسها من نوبات الضعف التي تصيبها كلما أخذها رومانو بين ذراعيه.

لم تدع مادينا بالمدينة المالطية الصامتة، عبثاً، هكذا استنتجت كارولين عندما اجتازت السيارة البوابة القديمة المؤدية إلى الشوارع القديمة الخالية.

ساد الهدوء المكان وكأنه يعود بالزمن إلى الوراء. بعض السياح تجولوا في أنحاء المدينة على اقدامهم مبدين اعجابهم بالمدينة القديمة وبمعالمها الرائعة من متاحف ومعابد وقصور، وكأن العالم القديم جاهز لينطق في المكان من جديد في أية لحظة.

سلكت السيارة طريقاً فرعياً يؤدي إلى كاسا سيورتو. اجتازت السيارة باباً ضخماً له مقبضان ضخمان من الحديد الصلب على شكل حيوان الدولفين. كانت اشعة الشمس محرقة. وقفت كارولين في الساحة الخارجية تتأمل ولم تستطع اخفاء اعجابها بروعة كاسا سيورتو.

تبعت كارولين رومانو إلى الداخل حتى وصلا إلى باحة داخلية باردة ومليئة بالأشجار. كانت مضاءة جيداً، وساعدت نافورة مياه توسطت المكان بتلطيف الجو بنثر رذاذ الماء في الهواء.

«أهلاً بك في كاسا سيورتو، يا كارولين.»

بالرغم من الابتسامة المريبة التي علت شفتيه، شابت

صوته مسحة من الود والدفء وكأنه تحت تأثير روعة المكان، فانعكست مزايا أجداده النبيلة على تصرفاته، فأخذ يتصرف فجأة ككونت حقيقي: رومانو دي سيورتو.

وقفت كارولين في مكانها وأخذت تتفحص المكان حولها، كانت الساحة محاطة بجدران عالية مطلية باللون العسلي. بالرغم من بساطة الديكور الا أن الأناقة سادت المكان. تخللت الجدران نوافذ ضخمة على شكل قناطر وأبواب فرنسية رائعة. وانتشرت الورود في كل مكان، الغاردينيا والياسمين وانواع أخرى بألوان مختلفة أضافت إلى المكان روعة وجمالاً. كما زرعت الأشجار الصغيرة ذات الأوراق العريضة وأشجار طويلة كالبلح والسنط.

إلتفتت كارولين إلى رومانو فوجدته يتأملها بإمعان وعلت وجهه تعابير غير مفهومة.

قالت لاهثة وقد نسيت توترها أثناء الرحلة: «انه خيالي. إنه عالم آخر يعود بنا إلى العصور القديمة.»

كان فرحاً لأن المكان أعجبها.

أجابها: «هكذا أشعر أنا أيضاً عندما أكون هنا. ولهذا، فأنا ألجأ إلى شقتي وعملي في فاليتا حيث العالم الحقيقي بعيداً عن هذا العالم الخيالي، وإلا فإن الاشباح قد تسيطر عليّ.»

ارتسمت على شفتيها ابتسامة خفيفة وقالت: «أشباح مرة أخرى؟ اعتقد بأنك تؤمن حقاً بالاشباح!»

إعترف مبتسماً: «تقريباً. هذه الجزيرة مليئة بالأشباح. هل قرأت تاريخنا؟»

أومأت برأسها ببطء وهي تنظر حولها غير مصدقة، مبهورة بالمكان: «آه، نعم... حروب دامية، غزوات وحصار.»

«قاموا جميعاً بأعمال وحشية مخيفة.»

احست بالقشعريرة بالرغم من الحر الشديد.

«كان ذلك قبل أو بعد غزو القراصنة للجزيرة؟ ألم يدمروا غوزو؟ ثم باعوا معظم السكان كعبيد؟» غلف صوتها مسحة حزن وهي تتذكر.

أومأ رومانو موافقاً وشاب صوته ضحكة خفيفة: «هناك طرق جديدة للقرصنة في البحار، ألم تعرفي؟»

«أفضل ألا أعرف، شكراً. ربما إن عرفت قد اتوقف عن الابحار نهائياً.»

جاءهما صوت مرحب من وراء أحد الأبواب: «سينيور رومانو.» خرجت من وراء الباب إمرأة ضخمة، اسرعت للقائهما، علت شفتيها ابتسامة عريضة مرحبة ولمعت عيناها الخضراوان بوميض دافىء.

«كارولين، أقدم لك دولوريس، مدبرة المنزل. دولوريس، هذه سينوريتا كارولين هاستنغز، مستشارة العلاقات العامة القادمة من لندن.»

«أنا سعيدة بلقائك يا سينوريتا. تعالي، تعالي معي، سوف ارشدك إلى غرفتك لهذه الليلة!» لا بد أن رومانو قد لقن مدبرة منزله ما عليها فعله، فكرت كارولين. وجدت نفسها تجتاز ممراً عالي السقف ثم وصلت إلى سلم واسع، ارتقته. دخلت غرفة واسعة زينت جدرانها بخيوط من ذهب مكسوة بالقماش الحريري. كان لون السجادة على الأرض

خليطاً من البنفسجي الخفيف والارجواني المعتدل. احتل سرير كبير وسط الغرفة أحاطته بشكل دائري ستائر من الساتان، وغطي السرير بلحاف حريري. أما الشيء الذي شد انتباه كارولين، فكان ذلك المنظر الخلاب الذي تطل عليه نافذة الغرفة.

عندما اختفت دولوريس، توجهت كارولين إلى النافذة واتكأت إلى حافتها على مرفقيها تتأمل المنظر الرائع أمامها. استطاعت رؤية القبة الحمراء للمعبد في موستا وقمم أبراج فاليتا والبحر الأزرق في الخلف.

«هل اعجبك المنظر؟» صوت رومانو جعلها تعود إلى وعيها. أدارت رأسها في اتجاهه ولكنها لم تحرك يديها من مكانهما على الحافة. حدقت فيه بعينين واسعتين فأوقع مظهره الرهبة في نفسها، شعرت وكأن دفاعاتها قد انهارت عند رؤيته.

«انه... يخطف الأنفاس حقاً.»

كان يبتسم لها. لم تفهم معنى تلك النظرة في عينيه.

مرّر يديه على شعرها الذي كان لامعاً منسدلاً طويلاً على كتفيها ووراء ظهرها، فوق فستانها البسيط التي لبسته للرحلة إلى هنا.

«لا توجد ساحرة شريرة، أليس كذلك؟»

«كلا. لا ساحرة شريرة.»

استطردت ممازحة: «قد يكون هناك كونت شرير؟» ارتعشت عندما مرر اصابعه على كتفها.

وافق معها بصوت أجش: «آه، نعم، طبعاً. الكونت الشرير الفاسق غير الجدير بالثقة.»

«أنت قلتها.»

توقفا عن الكلام بينما أخذ رومانو يتفحص وجهها بإمعان قبل أن يقول:

«هل تعرفين أن هناك قصة في مالطا تروي حكاية كاهن تحطمت سفينته على شواطىء مالطا، فقام هذا بمعجزة. استطاع ازالة السم من فم الأفاعي وحول هذا السم إلى ألسنة نساء مالطا.»

أجابته: «لا استغرب قولك المتعصب هذا.»

«هل أنت متأكدة من أنه لا تجري في عروقك دماء مالطية، يا كارولين؟»

علت شفتيها ابتسامة رائعة: «ابداً. فقط دم انكليزي صافٍ.»

«إذن، ربما النساء متشابهات في انحاء العالم.»

«لانسان متعجرف و... ومتعال مثلك، فإنهن كذلك!»

ضحك رومانو فجأة، ثم أمسكها من ذراعيها وقال: «لا فائدة! لكنك مخطئة يا كارولين. أعترف بأنني لم ألتق في حياتي امرأة سليطة اللسان ومشاكسة مثلك.»

أصبح الوضع متوتراً، يستحيل أن تحافظ على هدوئها برفقته. أجابته بغضب: «أنا لست سليطة اللسان ولست مشاكسة!»

لم تستطع التحرك لأن يديه اطبقتا بقوة على ذراعيها:

«بل أنت كذلك. ولكنك أيضاً... محبوبة جداً.»

كان صوته رقيقاً وساخراً ولكنه بدا أعمق عندما وقع نظره على ذقنها.

«أريدك، يا كارولين.»

«رومانو، أرجوك.»

كان جسمها يرتعش من الداخل تحت نظراته الوقحة المتفحصة.

ردد بصوت أجش: «أرجوك؟ أرجوك ماذا؟ أرجوك عانقني؟»

عارضة بسرعة: «أرجوك، دعني وشأني! أنت وعدتني. أنت قلت انك لن تقوم باغوائي.» نطقت كلماتها بصعوبة. وشعرت بالاختناق في حلقها، وبالكاد استطاعت التنفس.

أبعد يديه عنها. هز كتفيه بلا مبالاة، وسأل بهدوء: «وهل أنا أقوم باغوائك الآن؟ هنا في وضح النهار والباب مفتوح ودولوريس تحوم في المكان كالنحلة؟»

توردت خداها من الاحراج فاستدارت بسرعة وابتعدت عنه.

اقترح عليها بصوت طبيعي وهو يتجه نحو الباب: «انضمي إلينا في الأسفل عندما تكونين جاهزة. صديقي ماسيمو غريش سيصل بعد نصف ساعة. سنتباحث في موضوع استخدام الفيديو في حملتنا الاعلانية. سيبدأ المعرض الأحد المقبل ويستمر نحو اسبوعين.» توقف قليلاً عند الباب ونظر إليها قبل ان يضيف: «علينا أن نكد في العمل ولا نضيع الوقت حتى نكون جاهزين في الوقت المحدد للمعرض.»

من العواطف إلى التحدث في شؤون العمل، يا للوقاحة. فكرت كارولين بغضب. هناك فرق شاسع بين الموضوعين.

تهاوت فوق المقعد قرب النافذة وأخذت تحدق بالمنظر أمامها: «ان تصرفات الجسم تجسد ما يأمر به العقل.» أين سمعت هذا القول. ضغطت بشدة على شفتيها بأسنانها لو أنها تستطيع فهم طريقة عمل عقلها. لو انها تستطيع ان تقنع نفسها بأن جسمها وعقلها يرفضان جاذبية رومانو الخطيرة.

www.elromancia.com

الفصل السابع

«كم أنا سعيدة لرؤيتك.» قالت انااليسا ذلك وسط الهرج والمرج والمحادثات الجانبية في الحفلة. حملت بين ذراعيها إبنها كريستيان البالغ من العمر سنة واحدة الذي أقيمت الحفلة على شرفه. كانت أخت رومانو في منتصف العشرينات، جميلة جداً بجسمها الصغير والنحيل، والشعر الأسود الطويل المجعد وبشرة نقية. كانت أناليسا ترمقها بنظرات دافئة ودودة ثم بادرتها: «لقد رأيتك في السوق هذا الصباح، اليس كذلك؟ لقد جذبت انتباه أخي في السوق. ذكر رومانو اسمك مراراً هذا الأسبوع وجميعنا كنا بشوق لرؤيتك. وبدأنا العد!»

«العد؟» نظرت اليها كارولين بارتباك.

شعرت كارولين بالذنب لأنها ظلمت هذه الفتاة التي اعتقدتها احدى صديقات رومانو ولم تكن الا اخته الصغرى. تفحصت كارولين انااليسا بتمعن. انها ذات شخصية منفتحة ومحببة، لا يعقل ان يكرهها أحد أو لا يعجب بها. بدت سعيدة برفقة طفلها وزوجها مارك الطويل القامة والمرح صاحب الجبهة العريضة التي عكست ذكاء حاداً. كان يضع نظارة فوق عينيه.

شعرت كارولين بالالفة نحوها ونحو عائلة رومانو كلها، ومن ضمنها سالفو وزوجته صوفيا وطفلهما المولود حديثاً.

ضم الاحتفال العديد من اولاد العم والخالات والاعمام واصدقاء العائلة من مختلف الجنسيات، من ايطاليا ومالطا وفرنسا وانكلترا.

تصرف الجميع بحرية وكأنه منزلهم وكان هذا نتيجة الضيافة الرائعة التي أظهرها افراد عائلة دي سيورتو. للأسف، لا يتحلى رومانو باللطف واللباقة كباقي افراد اسرته، فكرت كارولين التي اخذت تبتسم لكريستيان الذي امسك طرف ثوبها الحريري، ثم نقل يده ليمسك جديلتها الشقراء الطويلة.

«كنا نعد عدد المرات التي يذكرك رومانو فيها، فنسمعه يقول كارولين فعلت هذا، كارولين فعلت ذاك.» ابتسمت أناليسا ثم اتجهت بنظرها نحو أخيها الذي كان يقف قريباً منهما برفقة سالفو ومجموعة من الاقارب المجتمعين في الباحة. كانت الشمس تميل نحو المغيب مخلفة وراءها خيوطاً ذهبية، انعكست على اطارات النوافذ النحاسية فزادت من جمال المكان.

نتج عن إيل كويسيجا، التقليد المالطي القديم، الذي اقيم عند بداية الحفلة ان اختار كريستيان قلم من بين الاغراض التي عرضت عليه. فأقرّ الجميع بأنه قد حدد مستقبله وهو سيصبح محامياً مثل جده.

«كريستيان، توقف!» سحبت انااليسا جديلة شعر كارولين من بين يديه وعبست عندما لمحت ما خلفه ابنها من تجاعيد على فستان كارولين.

«عذراً، يا كارولين. كريستيان عمره سنة واحدة فقط ولكنه وغد صغير!»

ضحكت كارولين من كلمات انااليسا: «لا تهتمي.» مدت يديها نحو الطفل الذي مشى نحوها لتحضنه.

علقت انااليسا على المنظر: «أنت تذكرينني برومانو، ما ان يراه الاطفال حتى يسرعوا نحوه للعب معه! انه يعشقهم. سوف يكون أباً مثالياً في أحد الأيام، هذا اذا فكر بالاستقرار!»

علقت كارولين: «بالتأكيد هو ليس جاهزاً لتحمل مثل هذه المسؤولية.» ندمت لقولها المتسرع فأسرعت توضح ما عنته عندما لمحت علامات التعجب على وجه انااليسا: «أعني انه متهور، مدمن على المخاطر.»

«مدمن على المخاطر؟ تقصدين ممارسة هواية التسلق والغطس لاستكشاف الكهوف في قاع البحار والهبوط بالمظلات؟»

أومأت انااليسا برأسها وارتسمت ابتسامة دافئة على شفتيها. لمحت كارولين في عينيها التفكير العميق ثم قالت: «لا يسعني أن أصفه بمدمن على المخاطر، بممارسته هذه الهوايات. هذه فقط اهواء رجل عازب. ان نظرية رومانو في الحياة هي ان يعيش حياته كاملة دون تعريض نفسه للاذى أو توريط نفسه بعلاقات جدية!»

ان يعيش الحياة كاملة، فكرت كارولين في هذه الجملة، لقد سمعتها من قبل، من رومانو نفسه: «نعيش الحياة كاملة، لأن غداً قد نكون أمواتاً.» أو شيء مشابه لهذا. صدمتها رؤيته للأشياء، فعلقت قائلة:

«ان أخاك لا يفاجئني بتهوره وجرأته.»

اجابت انااليسا بهدوء: «هناك عدة طرق يستطيع فيها

الشخص ان يكون متهوراً. تعرض رومانو للأذى عندما توفيت غابرييلا. كان يتصرف كالفهد المجروح ولم يسمح لأحد بمساعدته. اعتادت والدتنا ان تقول ان عليه ان يتغلب على الألم بنفسه. لقد تألم كثيراً. انه ليس من الرجال الذين يقعون في الغرام بسهولة...»

وجدت كارولين نفسها غير قادرة على النطق. أخذت تحدق بأنااليسا، لا تدري بما تجيب. شعرت بالاختناق وبأنها غير قادرة على التنفس. لم يكن لديها ادنى فكرة عما يجول في خاطر شقيقة رومانو وهي تحدق فيها بهذه الطريقة، تابعت الفتاة الأخرى بلطف: «لكنه يوما ما سيتزوج. أدرك هذا من ردة فعله عند رؤيتي وسالفو سعداء بعائلتينا الجديدتين. انه يحب الأطفال كثيراً. ويبدو لي أنك تحبين الأطفال أيضاً؟»

اعترفت كارولين: «أنت محقة، أنا أحبهم جداً.» حضنت الطفل وهي مدركة للاحاسيس الغريبة التي أخذت تجتاح جسمها والتي لم تفهمها. كانت قد تأثرت بكلمات انااليسا.

علقت انااليسا قائلة: «أصابع كريستيان دبقة ولزجة، سوف يفسد لك فستانك.» كانت انااليسا تتأمل فستان كارولين باعجاب. كان لها عين خبيرة بالأزياء الأوروبية، فعلقت قائلة:

«انه فستان أنيق، ان ماركته مشهورة إن لم اكن مخطئة.»

رفعت كارولين الطفل الى حضنها واخذت تراقبه ثم قالت:

«شكراً على الاطراء، في الحقيقة انه ليس غالياً كما

يبدو. أنا لا انفق المال على شراء الألبسة الباهظة الثمن. هناك محل رائع بالقرب من مكتبي في لندن، يقوم بتصميم الثياب الشبيهة بموديلات لمصممين مشهورين، وأنا أيضاً معجبة بفستانك...»

كان فستان انااليسا مصنوعاً من الشيفون، له شكل دائري عند العنق. كان طويلاً كراقصات الباليه. بدت متألقة بشعرها الرائع الأسود وبشرتها النضرة فقالت لها: «حقاً! شكراً، انه صنع ايطاليا. هناك محل رائع في فاليتا...»

توقفت انااليسا وعبست بوجه كريستيان الذي مد يده مرة أخرى يحاول الامساك بجديلة الشعر الاسقر رافضاً الاستماع إلى اعتراضات امه الضاحكة.

«هنا، تعال إلى هنا، أيها العفريت الصغير!» سحبته بقوة وأوقفته على رجليه. أخذ يتمايل إلى الامام والى الوراء. بعد ان استعاد توازنه، مشى بسرعة كبيرة نحو وسط الباحة. لحقته امه وهي تعتذر من كارولين.

رفعت كارولين شعرها المتناثر على وجهها إلى الخلف. ابتسمت وهي تراقب انااليسا وطفلها ثم أخذت تتفحص المكان. جلست وحيدة بحثت عن المكان الذي وضعت فيه كوبها، وجدته على طاولة حديدية مزخرفة، فرشفت قليلاً منه. لمحت بطرف عينها شخصاً مألوفاً لديها، يمشي برشاقة بين الحشد ويتمايل بالشعر الأسود الطويل، كان ضيفاً متأخراً. استقبلتها دولوريس بكوب من عصير التفاح. شقت ستيفاني مارسا طريقها بغنج بين الحشد بكعب عالٍ دقيق. اقتربت حيث كانت كارولين تقف، حتى استطاعت كارولين ان تشم عطرها الاخاذ القوي في

الهواء. ثم توجهت حيث كان يقف رومانو كالنحلة التي تتوجه نحو الزهرة.

«عزيزي رومانو، يا لها من حفلة رائعة...»

حمل نسيم المساء كلماتها إلى كارولين التي نظرت عبر الحشد الى الناحية التي توجهت اليها ستيفاني، راقبت بتوتر شديد يد ستيفاني تعانق رومانو ثم تطبع قبلة على خده. احست كارولين بمعدتها تتقلص، ماذا يحصل لها؟ انها حتى لا تهتم اذا احاطت ستيفاني رومانو بذراعيها طوال الليل. أتفعل ذلك؟

استطاعت ان ترى ظهره. بدا طويلاً ورشيقاً وعريض المنكبين بقميصه البيج الحريري الثمين. كان سالفو القصير القامة يخبر ستيفاني شيئاً مضحكاً وهو يضحك. بقيت يد ستيفاني تحيط ذراع رومانو. وكانت تحدق بوجهه بهيام. أحست كارولين بالضيق في صدرها وهي تراقب المنظر امامها. وشعرت بتوعك...

«كارولين، تعالي إلى هنا.» صوت رومانو غير المتوقع جعلها تقفز من مكانها مما تسبب في دلق العصير على ثوبها، كان يراقبها بإمعان. فشعرت وكأنها تحت المراقبة، رسمت ابتسامة مهذبة على شفتيها.

«هل أنت بخير، يا عزيزتي كارا؟» سؤاله الرقيق واستخدامه بعض الكلمات الايطالية الرقيقة جعل الدماء يتدفق بسرعة إلى وجنتيها، عندئذ تركت ستيفاني ذراعه وأخذت تحدج كارولين بنظرات عدائية. أحاط كتفي كارولين بيده. علت ابتسامة عريضة وجهه، وشعرت كارولين برعشة قوية في داخلها من لمسات يده عليها.

كان يراقب خصلات شعرها المنسدلة على وجهها وفستانها بنظرات متأملة وكأنه يستمتع بالمنظر. يا له من وغد كبير! فكرت ولاحظت نظرات ستيفاني العدائية نحوها. بالرغم من غيظها، الا انها احست بدفء لمسته على كتفيها من خلال قماش فستانها الحريري الرقيق. أهذا الدفء يسرّع دقات قلبها القوية؟

أجابت متعلثمة: «بالطبع، أنا بخير...»

سألها وهو يتفحصها: «تبدين شاردة الذهن قليلاً.» جالت عيناه الباردتان عليها من قمة رأسها حتى أخمص قدميها. انتقلت عيناه من خصل شعرها الى العلامات التي تركها كريستيان الصغير الى بقعة العصير على فستانها. كانت في حال يرثى لها ولكنها شعرت في نفس الوقت بالثقة بنفسها.

توترت رغماً عنها وهي تنظر في عينيه. وجمعت ما لديها من قوة لتحرر نفسها من نظراته الثاقبة، ثم تركت العنان لمخيلتها الخصبة.

اقترح سالفو وهو يبتسم ابتسامة لطيفة ودافئة: «رومانو، انك تجعل كارولين تعمل طوال الوقت. انها تكد كثيراً في العمل.» كان سالفو قد قدم اعتذاره لكارولين بسبب حادثة الكاسترل وبعدها تحدثا عن امور تتعلق بالعلاقات العامة وكيفية تطوير هذا القسم.

ناقشا ايضاً فكرة استخدام الفيديو في المعرض ولقائهم برئيس شركة الفيديو. تأثر سالفو بكفاءتها وبالساعات الطويلة التي تكرسها لعملها، وها هو الآن يعاتب رومانو في جعلها تعمل لساعات طويلة واضاف:

«انك تجعلها تعمل لساعات طويلة حتى في يوم العطلة!»

«اعترف بانني غير مراع لحقوق الآخرين، ومشاعرهم ولكنني ادفع مقابل خدمات كارولين.»

تدخلت كارولين قائلة: «لا تهتم يا سالفو، أنا معتادة على هذا النوع من الزبائن الذين يطالبون بساعات عمل اضافية، وأتقاضى أجراً كاملاً!» ثم ابتسمت في وجه سالفو ابتسامة عريضة.

أجاب سالفو مداعباً وهو ينظر نظرة عتاب نحو اخيه الأكبر: «لو كنت مكانك، لجعلته يدفع الأموال الطائلة ثمناً لهذه الساعات الاضافية. حاسبي هذا الوغد على كل دقيقة اضافية من وقتك الخاص، يا كارولين. ربما يعتمد على صداقته لعائلتك آملاً ان يحصل على تخفيضات في السعر! فكري في اعمالك التي تخسرينها في لندن بينما انت هنا تركضين خلف احد نبلاء مالطا للاهتمام بأعماله!»

علقت ستيفاني مارسا بصوتها العالي والبارد الخالي من المشاعر: «أنا متأكدة من أن سينيوريتا هاستنغز لديها طاقم عمل في لندن يستطيع انجاز الاعمال المطلوبة اثناء غيابها.»

تمتم رومانو بصوت بارد: «كارولين خبيرة في معاملة زبائنها أثناء مناقشة الأعمال.»

وافقت كارولين بهدوء: «طبعاً وهذا يعتمد أيضاً على تصرفات الزبائن المهذبة واللبقة.»

صدى كلمات كارولين اللاذعة جعل الجو متوتر.

ساد السكون للحظات.

أجاب رومانو بنعومة مبالغ فيها حملت في طياتها معانٍ كثيرة لم تفهمها الا كارولين: «يا للروعة، اذاً، تستطيعين العمل وأنت مرتاحة في هذه المهمة. ان الصداقة التي تربط عائلتينا تعفينا من رسميات وتحفظات مضجرة وتجعل العمل ممتعاً اكثر.»

علقت كارولين بسخرية لاذعة: «أنا أتبع قاعدة معينة في عملي وهي الا أخلط اموري الشخصية بالعمل. والصداقة التي قد تربط بين جيل واحد لا تعني بالضرورة انتقال هذه الصداقة الى الجيل التالي.»

لاحظ سالفو العداوة المبطنة بين الاثنين. فقال مداعباً وابتسامته العريضة تعلو شفتيه محاولاً تلطيف الجو:

«هنا أعتقد ان اخي قد التقى بشخص يعانده.» جاءت كلماته همساً وكأنه لا يريد ان يسمعه أحد.

ساد صمت ثقيل بعدما أصبح الوضع بينهما لا يحتمل، بدا التوتر السائد بينهما مشدوداً كأوتار القيثارة قد تنقطع في اية لحظة محدثة صوتاً مدوياً.

قطعت ستيفاني السكون بصوتها الفاتر:

«وصلت الفرقة.» التفتت كارولين الى الوراء حيث اشارت ستيفاني فشاهدت مجموعة من النساء والرجال في ملابس ريفية مؤلفة من سراويل وقمصان بيضاء واحذية سوداء، اما النساء فارتدين التنانير الصفراء بدل السراويل. اتجهت الفرقة نحوهم. كانوا يحملون الآلات الموسيقية المختلفة، غيتار اسباني ورق وفلوت وطبول وآلة تشبه المزمار.

قال رومانو بايجاز لكارولين قبل أن يتوجه للترحيب

بالضيوف الجدد: «انهم مغنيون شعبيون.» راقبته وهو يتجه نحو ضيوفه، كرهت عجرفته والتعالي في مشيته. كرهته لابتعاده عنها. اجتاحتها رغبة جامحة لتركض خلفه... لم تستطع تفسير سبب هذه الرغبة. فحاولت تجاهلها.

لاحظت كارولين ان الشمس قد غابت وحل الظلام. وحمل نسيم المساء الدافىء معه الروائح الذكية من الاشجار والزهور في الباحة. أضيئت الأنوار في جميع غرف كاساسيورتو. تلألأ المكان بالأنوار الذهبية التي أضافت الى المكان سحراً رائعاً.

ظهرت انااليسا فجأة من دون كريستيان. قالت تشرح لكارولين وعلامات الارتياح بادية على اسارير وجهها: «تولت احدى المربيات أمر وضعه في السرير.» ثم اضافت وهي مندهشة: «هل زادت الاضاءة من جمال هذا المكان، أم ماذا؟»

«إنه ساحر.» بالرغم من التوتر السائد بينها وبين رومانو، لم تستطع كارولين الا ان تعلق على المنظر الرائع. كان جمال المكان يبعث الدفء في داخلها وناراً مستعرة في قلبها. بدأ العازفون يعزفون الموسيقى الفولكلورية ويغنون بلهجة محلية. كانت المقطوعة الغنائية رائعة.

سألت كارولين انااليسا: «ألم يكن في امكان كريستيان البقاء مستيقظا. فهذه الحفلة في جميع الأحوال مقامة على شرفه؟»

اعترضت انااليسا بشدة على كلام كارولين: «الأطفال

يجب ان يخلدوا الى النوم باكراً.» ضحكت ضحكة عفوية ثم اضافت: «ان الكويسيجا هي حفلة كريستيان، ولكنها الآن اصبحت حفلتنا نحن تحضيراً لمهرجان المنارجا. التحضيرات للمنارجا تبدأ من يوم الاثنين في مادينا.»

«اعتقدت ان المنارجا لن تبدأ حتى الأسبوع القادم.»

«هذا صحيح انه مهرجان سيستمر طوال الليل في بوسكت غاردن بالقرب من هنا. لكن ابتداء من الاثنين تحتفل مادينا ورابات بعيد الباندو، وهو الاحتفال الذي يعلن المنادي في القرية عن ابتداء سباق الأحصنة تحضيراً للمنارجا. يتم جلب الأحصنة السريعة وغير المروضة الى الاحتفال، ويتسابق المتسابقون عليها حفاة وعراة الصدور، الجميع في مادينا سيحتفل طيلة هذا الأسبوع. يجب ان تبقي في كاساسيورتو، يا كارولين...»

«يبدو الأمر رائعاً، ولكنني سوف اكون منشغلة بالتحضيرات للحملة الدعائية للشركة كي نكون على استعداد للمعرض التجاري! أنا هنا في عمل يا أناليسا، تذكري هذا!»

«بالطبع ليس طوال الوقت... فأنت العقل الموجه للحملة، اليس كذلك؟» لمعت عينا اناليسا بخبث وكأنها تدبر مؤامرة. ثم أضافت:

«أنت الخبيرة هنا وتحملين سمعة المرأة الناجحة في عملها، فدعي العمل المرهق ينجزه طاقم العمل في المكتب. انتدبي غيرك، مثل ستيفاني، للاشراف على العمل بعد اعطاء التوجيهات، هذا هو السر! انا متأكدة من أن رومانو لن يعترض!»

قاطعهما صوت رومانو من الخلف: «عندما اسمع اسمي على لسان أختي الصغيرة، أشتم رائحة مشاكل.» كان صوته ساخراً.

«آه، ها أنت يا رومانو!» طبعت اناليسا قبلة سريعة على خده ثم توجهت بنظرها نحو الضيوف الذي يرقصون. فاقترحت: «أرقص مع كارولين، بينما اذهب أنا لأجد زوجي التائه! الى اللقاء!»

غادرت اناليسا بسرعة واختفت بين الضيوف، ووجدت كارولين نفسها وحيدة مع رومانو توردت وجنتاها خجلاً وعاودها شعور بالكره تجاهه.

«هل تستمتعين بوقتك، يا كارولين؟» كانت عضلات وجهه مسترخية وتعابيره هادئة، بدا لها مهيباً وارستقراطياً. كان يلبس تحت بذلته البيج قميصاً أبيض، وحل ربطة عنقه قليلاً.

«نعم، أختك رائعة واخوك ساحر، والشيء الذي لا أستطيع فهمه هو كيف يمكن ان تمت لهذه العائلة الرائعة بصلة.»

ضاقت عيناه، رأت عضلة مشدودة تظهر عند فكه. لأول مرة يسمح لنفسه باظهار استيائه بوضوح، ابتسم قائلاً: «على أي أساس تهاجمينني؟»

تطاير الشرر من عينيها. سألته وجسمها يهتز من شدة الغضب: «كيف تجرؤ على... على استخدامي كوسيلة لتغيظ بها ستيفاني. لقد جعلت الأمر يبدو وكأن هناك شيئاً يحصل بيننا، بينما ليس هناك أي شيء...»

«هل هذا صحيح؟ تعالي وارقصي معي يا كارولين.»

استسهاله الأمر وتغييره للموضوع بهذه البساطة الموجزة جعلا وجهها يحتقن من الغيظ: «لا، لا أريد ان أرقص معك! أنت تعرف جيداً أن ليس هناك اي شيء بيننا. لقد اتيت الى هنا لانجاز عمل محدد وهذا كل شيء.»

تمتم: «أنت تتكلمين كسيدة أعمال.» لمعت عيناه بوميض أخافها: «ولكن مظهرك لا يوحي بذلك. فشعرك المتناثر على وجهك، وفستانك الجميل يجعلانك امرأة مغرية، وكل الأمور المتعلقة بالعمل تنتهي هنا وتختفي من رأسي يا كارولين.»

«توقف يا رومانو...»

قاطعها، بصوت أجش:

«عندما أقبلك استطيع ان اشعر بارتجاف وارتعاش جسمك بين يدي. احس بالحمى التي تصيبك، وهل تقولين أن لا شيء بيننا؟»

كيف يسمح لنفسه؟ اجتاحت جسمها موجة كره شديدة: «استعمل هذا الابتذال مع امرأة اخرى بلهاء.» أحست بالغثيان وبالاثارة من كلماته. جرت رجليها جراً لتستطيع الحراك. مرت من قربه وهي تقول: «أشعر بالتعب، سأذهب الى غرفتي.» كانت تعي كل شيء حولها وهي تمشي بخطوات سريعة غاضبة. أحست بعينيه تحرقان ظهرها وهما تراقبانها بسخرية وهي تهرب. اجتازت حشداً من الضيوف ثم توجهت إلى السلالم المؤدية الى غرفتها.

كانت الغرفة جاهزة لقضاء الليلة فيها. وضعت الأغطية البيضاء على السرير وازاحت الستائر عن النوافذ لتظهر السماء في الخارج متلألئة بنجومها ونور قمرها الشاحب.

وضعت صينية عليها ابريق من الماء وكوب على طاولة شبية تلمع...

كانت تعاني صراعاً مع نفسها، وقفت في وسط الغرفة تحدق الى المنظر الهادىء امامها. يبدو ان المشاجرة الأخيرة بينها وبين رومانو قد سلبتها قوتها. لن تجد الراحة الآن.

أحست بالتشتت وكأنها على مفترق الطريق. خلعت فستانها بيدين مرتعشتين. ركلت حذاءها الخفيف بعيداً، وحررت شعرها من الرباط، ثم توجهت الى الحمام سعياً وراء العزلة التامة. بعد ما انتهت، اندست تحت اغطية السرير بقميص رقيق واسع تستعمله دائماً كقميص نوم.

مر وقت طويل قبل ان تغمض عينيها، دارت الافكار المشوشة في رأسها. اختلطت الأحداث بشكل عشوائي حتى اصبحت الصور في رأسها لا تخضع لأي ترتيب منطقي، بل سادت الفوضى والدوامات المظلمة في رأسها.

أخبرتها انااليسا عن غابرييلا، الفتاة التي احبها رومانو ثم فقدها. لا يوجد أحد تلجأ هي اليه. تخيلت الجميع قد تخلوا عنها، ملأتها صورة الفراق القسري رعباً وخوفاً من المجهول. رومانو يرغب بها ونظراته تقودها إلى دوامة لا تعرف نهايتها ويثير فيها مشاعر تدفعها إلى الجنون والضياع. كهوف سوداء كالليل، مغارات لا نهاية لها وقصة حسان...

اختلطت احلامها بالواقع. استمرت الصور المشوشة تدور في ذهنها.

استيقظت على صوت ينادي بهلع. استلقت في فراشها

تحدق في الظلام، وقد أرسل القمر نوره الشاحب إلى الغرفة.

كان وجهها مبللاً بالدموع ونبضها شديد الاضطراب. فقدت للحظات حس المكان والزمان فلم تستطع ان تعرف اين هي او حتى من هي، ولماذا استيقظت؟

أخذت صور كابوسها تختفي تدريجياً من أمامها. لا، لم يكن كابوساً بل أكثر...

فُتح الباب وأضيئت الغرفة. أجفلت في مكانها.

«هل أنت بخير، يا كارولين؟» تناهى إليها صوت رومانو من بعيد يشوبه قلق حقيقي.

«كنت أحلم... هذا كل شيء.»

كان قد دخل الغرفة وجلس على حافة السرير بعدما أضاء النور بقربه قائلاً: «كنت تصرخين.»

نجحت في رسم ابتسامة واهنة على شفتيها. دفعت شعرها الى الخلف ثم أخذت تفرك عينيها قائلة: «أعرف، وأنا آسفة. أظن أن القرصان حسان كان على وشك رميي من على منحدر كهفه في البحر!»

هز رومانو رأسه ساخراً: «دائماً تخبرينني عن مدى نضجك، يا كارولين. لو عرفت انك عرضة للكوابيس، لما أخبرتك القصة.»

«آسفة لأنني أزعجك...» بدأت تتكلم ببطء. لاحظت انه لا يزال يرتدي ملابس الحفلة ولكن بدون الجاكيت وربطة العنق. انعكس ضوء المصباح على وجهه الجامد الشبيه بأحد قراصنة البحار القدماء.

قال بايجاز:

«كنت على وشك الاستحمام، فحمامك ملاصق لغرفتي، عندها سمعت صرخاتك المخنوقة التي ارعبتني، قررت ان اتحقق من الأمر.»

أجابت لاهثة: «على الأقل، لم أوقظك.» شعرت بالدفء يزحف الى جسمها بسبب قربه منها.

«أنا آسف، لأنك لم تستمتعي بالحفلة.»

اعترضت بسرعة: «لكنني استمتعت كثيراً. ان عائلتك واصدقاءك هم من ألطف الناس الذين قابلتهم منذ مدة طويلة، إلى جانب الأضواء والأغاني المحلية والمغنيين، كان الأمر وكأنه حكاية من حكايات الأساطير التي تروى في المساء...»

«ان وجودي هو الذي أفسد عليك هذه الأسطورة، أليس كذلك؟»

وجودك ووجود ستيفاني، أرادت ان تضيف. ولكنها لو فعلت فإنها بذلك تعترف بطريقة ما باهتمامها لوجود تلك العلاقة بينه وبين ستيفاني... وهذا آخر شيء تريد ان تظهره...

شعرت بالخطر يهددها من هذا الصمت. ارعبتها تلك المشاعر المتأججة في داخلها، بحثت عن اي موضوع محايد لتبدأ فيه الحديث. قالت بسرعة لتخفي ارتباكها:

«لم أستطع احصاء عدد الارستقراطيين الذين قابلتهم في الحفلة. لم تكن لدي فكرة عن وجود هذا العدد الكبير من الاشخاص في مالطا الذي يحملون ألقاباً مختلفة مثل البارون، كونت ثم الماركيز.» كان رومانو يتفحص وجهها بدقة وهي تتكلم.

قال لها وكأنه يسليها: «هناك ثمانية وعشرون لقباً معترف بها من قبل التاج الانكليزي. اقدم الألقاب يعود الى سنة ١٣٥٠ (الف وثلاثمئة وخمسون) ولم يمنح اي لقب جديد بعد سنة ١٧٩٨ (الف وسبعمائة وثمان وتسعون) لذلك، فإن الألقاب هنا في مالطا بين النبلاء تقرر حسب التاريخ وليس من درجة النبالة.»

«ماذا يعني هذا؟» لاحظت بأنها تريده ان يستمر في كلامه حتى تزيل صور الكابوس من ذاكرتها...

«هذا يعني ان تاريخ عائلة دي سيورتو يعود الى منتصف القرن السادس عشر، وبذلك يكون لقبنا كونت حسب الترتيب.»

مرت لحظات صمت قبل أن يسألها: «هل تشعرين بتحسن، يا عزيزتي؟» لهجته اللطيفة اثارت في داخلها الرغبة التي احست بها نحوه من قبل.

ضغطت على اسنانها ثم هزت رأسها بقوة: «نعم...» أحست بالضياع. تمنت لو انه يغادر وفي نفس الوقت تمنت لو يبقى...

سأل بهدوء: «هل أعجبتك مادينا؟»

«انها جميلة جداً وكذلك كاساسيورتو. هنا الكثير من المباني الأثرية الرائعة.»

«هناك ايضاً معبد في الشارع المقابل.» بدون سابق انذار مد يده الى وجهها ولمس خدها بأصابعه ثم امسك ذقنها بين اصابعه ليرفع وجهها نحو الضوء.

رددت الكلمة كالضائعة: «معبد؟» جف حلقها. لمساته اشعلت في داخلها ناراً احرقتها...

«لقد تم بناؤه في القرن السادس عشر. لا يسمح لأي رجل بالدخول الى المبنى ما عدا الطبيب. ولكن منذ سنوات دخله الدهان.»

«الدهان؟»

«لتبييض الحيطان في زمن الطاعون... كارولين، إن أردت ان تنامي في السرير لوحدك الليلة فلا تنظري إليّ هكذا...»

«كنت فقط اتخيل الوضع كيف يقضي المرء وقتاً طويلاً في عزلة تامة لا يرى فيها الا من هم من جنسه...»

أرادت ان تكون كلماتها على شكل مداعبة ولكن نبرة صوتها حملت عاطفة قوية.

«أعتقد ان التعبير الذي يصف هذه الحالة هو التسامي الذي يكون الحافز القوي، والذي يحوّل الهدف البدائي الى هدف اسمى اخلاقياً.»

أبعد يده عن وجهها. حملت كلماته مداعبة ساخرة. «كنت مؤخراً أحاول اتباع هذا الأسلوب. ولكنني لم اقتنع بأنني سأنجح...»

نظرت عيناها في عينيه القاتمتين، كان قلبها يخفق بعنف في صدرها، بالكاد استطاعت التنفس.

قال بخشونة: «من الأفضل ان اذهب.» ولكنه لم يتحرك. وجدت نفسها تهز رأسها بقوة ثم مدت يدها نحوه وكأنها آلة تعمل دون ارادتها.

«لا...» ماذا كانت تفعل؟ ماذا كانت تقول؟ كان عقلها يصرخ كما لو انه كان تحت تأثير سحر غريب يقودها نحو الظلمة التي تخبىء لها أشياء مخيفة لا تريد ان تفكر بها

الآن، سوى انها برفقة رومانو ولتذهب النتائج الى الجحيم.

جاءها صوته عميقاً وخشناً يحذرها: «كارولين...»

وفي لحظات كانت بين ذراعيه...

الفصل الثامن

عندما استيقظت كارولين كان نور الشمس يملأ الغرفة. وجدت نفسها وحيدة، لم تعرف إن كان هذا الأمر يزعجها أم يشعرها بالراحة. هل تشعر بالسعادة أم تشعر بالكآبة؟ هل ما قامت به خطأ أم صواب؟ جنون أم تهور؟ شعورها بوجود رومانو قربها، جعلها تغفو بسرعة وبغير جهد. ولكنها استغربت غيابه... شعرت وكأن شيئاً ما ينقصها!

استلقت على ظهرها تحدق في السماء الزرقاء العالية من خلال نافذتها. تمددت تحت الأغطية دون حراك. كانت قد أزاحت الستائر ليلة امس قبل أن تخلد إلى النوم، وقتها كان القمر يرسل ضوءه القوي إلى الغرفة.

لماذا وجدت صعوبة في مقاومة رومانو؟ لماذا لم تجتاحها مثل هذه المشاعر المشتعلة مع اصدقاء سابقين، حتى دهاء جيريمي لم يحرك فيها أية رغبة.

إنتابها الصداع وهي تحاول فهم الأمور. قفزت بسرعة من السرير ودخلت إلى الحمام. إذا تركت نفسها في الماء الدافئة المعطرة بصابونها المفضل نصف ساعة، قد تستعيد خلالها القوة والجرأة لتواجه رومانو مرة ثانية، ربما ستقابله على طاولة الافطار. لم تعرف ماذا ستقول له أو ماذا سيقول لها.

اغلقت عينيها ثم أخذت نفساً عميقاً. كانت تحاول إيجاد القوة لتهدئة اعصابها المتوترة، مهما حصل أو سيحصل،

www.elromancia.com

فإنها لن تندم على ليلة أمس. جنون كان أم تهوراً، شيء في داخلها أخبرها أنه كان أمراً محتماً لم يكن في امكانها تجنبه مع أنه لا يخضع لأي تفسير منطقي... عِش كل يوم بيومه، ألم يكن هذا شعار رومانو في الحياة؟ ربما كانت الحياة قصيرة لتمر دون أن تختبر هذا النوع من الشغف الذي اختبرته معه ليلة أمس.

في جميع الأحوال، فقد زجت نفسها في أمر سيسبب لها الألم، أكدت لنفسها. إختارت ثياباً بسيطة لترتديها هذا الصباح وكانت عبارة عن سروال قصير أبيض وقميص صيني خفيف. مهماحاولت توبيخ نفسها فإن هذا لن يغير أي شيء.

كان طعام الفطور جاهزاً على طاولة عريضة تحت ظل إحدى شجرات البلح الكبيرة في الباحة. ترددت قليلاً قبل أن تخرج إلى الباحة. تفحصت المكان بقلب منقبض. كان رومانو يجلس هناك مرتدياً قميصاً وبنطالاً أسودين. كان يجلس على كرسيه باسترخاء. آثار الطعام على الطاولة كان دليلاً على تناول بعض ضيوف البارحة طعام إفطارهم. عضت كارولين على شفتيها، دست يديها المرتعشتين في جيبي سروالها القصير. تأخرت في النزول، لا بد أنها ستكون بمفردها برفقة رومانو. جميع الحلول التي توصلت إليها أثناء استحمامها أخذت بالتضاؤل، وأحست بالتوتر والخجل.

ترددت تحت ظل الشجرة بالقرب من الطاولة حيث يجلس رومانو حين سمعت خطوات قادمة. كان سالفو متوجهاً في اتجاه أخيه الأكبر.

«هل تكلمت مع ستيفاني؟» كان صوت سالفو منخفضاً ولكن النسيم نقل بوضوح كلماته إلى حيث كانت كارولين تقف.

رد رومانو بنعومة: «لقد نجحنا. وصلت البضاعة بسلام إلى المخازن، وتأكدت من توضيبها بعناية، وإخفائها بمهارة!»

وصلت كلماته إليها. التلميحات التي قاما بها، جعلتها تتصلب في مكانها، أصغت بانتباه. عمَ كانا يتكلمان؟

«... ان الأمر يزداد صعوبة!» كان هذا نهاية جملة قالها رومانو رداً على شيء قاله سالفو ولم تسمعه.

أجاب سالفو باختصار: «إن صفقة موفقة كهذه تكون دائماً صعبة.»

وجدت كارولين نفسها مسمرة على الأرض دون حراك غير راغبة في الإستماع إلى المزيد. ولكن فضولها دفعها للتنصت. كان الاثنان يضحكان ويتكلمان بصوت منخفض، وصل إليها بعض الكلمات غير المفهومة.

هزت نسمة دافئة أوراق الشجر حيث وقفت، حدقت في جمال الطبيعة حولها، وضغطت بكلتا يديها على صدرها دون وعيها. استطاعت أن تحس بدقات قلبها غير المنتظمة من خلال قميصها الحريري الرقيق. تشتت افكارها وكأن عقلها يسبح في الفراغ.

بضاعة مخبأة؟ مكالمة هاتفية مع ستيفاني؟ هل الأمر يتعلق بشيء غير قانوني؟ عن أي شيء كانا يتكلمان؟

زحفت شكوكها التي راودتها قبل يومين إلى عقلها. بالطبع رومانو ليس متورطاً في عمل مريب؟

عضت على شفتيها وهي تتذكر خطتها الكريهة للتحري عن اعماله. لو كان متورطاً في أمر مشبوه وغير قانوني، هل ستشعر بنشوة الانتصار والفرح؟ وعندها ستتأكد لها شكوكها! ولكن ليلة أمس قد بددت هذه الشكوك وحولتها إلى قطع صغيرة لا وجود لها بعد الآن لعدم اهميتها. لم يعد هناك أهمية لسخرية رومانو وتملق أمها الذي يثير السخط، وعداوتها له.

ارتعشت بقوة. إنه الرجل الذي وهبته نفسها بإرادتها. والكره وعدم الثقة لم يعد لهما وجود وهي بين ذراعيه.

إنه الرجل الذي وقعت في حبه دون إرادتها.

هل هو حقاً متورط في أمر غير قانوني؟

الحقيقة المرة التي توصلت إليها صعقتها. هل كانت حقاً مغرمة به؟

انكرت ذلك بشدة. لا، انه ليس حباً. هذا مستحيل. إنها لن تقع في حب رجل تعرفت إليه منذ أيام فقط.

ان ذكاءها يخونها مرة ثانية أو ربما تأثير عالم كاسا سيورتو الساحر ومادينا عليها بقممها الصخرية واسوارها القديمة الأثرية جعلاها تتوهم.

ماذا قال رومانو؟ إنه يحتاج إلى العالم الحقيقي، وإلا سيطرت أشباح الماضي عليه.

أجفلت. السعادة الكبيرة وهي بين يديه ليلة أمس وشكوك اليوم كانت نتيجة الخيبة الكبيرة في العالم الحقيقي. كلما اسرعت بالعودة إلى فاليتا وكالكارا أو إلى اكثر الأماكن اماناً في لندن، كان الوضع مريحاً وأفضل للجميع.

قرارها الأخير كان نهائياً. تنفست الصعداء قبل أن تستجمع الشجاعة والقوة، لتجتاز الأمتار القليلة للانضمام إلى رومانو السعيد المسترخي في كرسيه عند طاولة الافطار.

«صباح الخير.» وقفا لها لرد التحية. جاء رد سالفو طبيعياً ولطيفاً.

دفع رومانو لها بكرسي لتجلس عليه وهو ينظر إليها بتلك النظرة المدمرة التي جعلتها تفقد رباطة جأشها.

«صباح الخير يا كارولين.» عيناه السوداوان كانتا دافئتين ومرحبتين. وبالرغم من ذلك بدا الجو بينهما مشحوناً بالتوتر. شعرت بدفء وجنتيها تحت نظراته المتفحصة.

شعر سالفو بحساسية الوضع فاستأذن مغادراً بحجة رغبته في تفقد زوجته صوفيا ومساعدتها في اطعام طفلهما.

هل اخبره رومانو عن ليلة أمس؟ احمرت وجنتاها خجلاً عند هذه الفكرة. فجأة، اكتشفت أنها لا تعرف عن رومانو الا القليل.

تلك الرغبة المحمومة قد اعمت بصيرتها عن المخاطر التي قد تنتج عن تصرفها الارعن وهي تتورط مع شخص كهذا.

سألها رومانو بصوت أجش: «هل أنت بخير هذا الصباح، يا عزيزتي، كارا؟» رغم عفوية سؤاله، إلا أنه حمل بين طياته شيئاً حميماً ذكرها بليلة أمس. أحست في نبرة صوته بفرح المنتصر والمتملك والمقنع. شعرت وكأن زوبعة من

www.elromancia.com

المشاعر المشتعلة تدور في داخلها في صراع مرير تحولت إلى ذرات صغيرة انتشرت بصورة عشوائية في رأسها وقلبها، العاطفة واستسلامها له وتخيلاتها الرومنسية عن الحب، والآن المحادثة المريبة وعودتها إلى الواقع المرير...

«نعم...» هزت رأسها ثم مدت يدها نحو إبريق القهوة لتسكب لنفسها فنجاناً من القهوة. تستطيع أن تتحاشى النظر في عينيه للحظات، حتى تستطيع أن تبني السور الواقي لتحجب به هذه المشاعر المحمومة، ولتستجمع شجاعتها التي اخذت تفقدها تدريجياً: «في الواقع، لقد شفيت تماماً، شكراً.»

ساد الصمت للحظات. جازفت ونظرت في عينيه. ردد وراءها بلطف: «شفيت؟»

«نعم، شفيت.» تناولت قطعة من الحلوى ثم بحثت عن الزبدة والعسل. شعرت وكأنها تتحرك بصورة آلية.

«مَ شفيت تماماً، يا كارولين؟»

«من... من نوبة الجنون.»

«هلا تفضلت وشرحت لي عمّا تتكلمين.»

ضاقت عينا رومانو. بذلت مجهوداً كبيراً لتوقف الارتعاش في يديها وهي تضع السكين على الطاولة بهدوء. حدقت بعينيها الرماديتين في وجهه.

بدأت تقول بهدوء محاولة أن تتجاهل نداء قلبها المجنون بين ضلوعها: «أنا أتكلم عما حدث ليلة أمس. لا نستطيع... تجاهله. أعرف ذلك. وأنا بالطبع لا أقول انني... انني أشعر بالندم. لأنني ببساطة لست كذلك حقاً. ليس في...»

«كم هذا مرضٍ.»

«ولكن دعنا... نجعل الأمر كتجربة وننسى ما حصل. هل أنت موافق؟»

خيم صمت ثقيل. هذه المرة لم يقل رومانو شيئاً بل أخذ ينظر في وجهها متفحصاً. أحست بالغثيان من شدة توترها. شعرت وكأن عقارب الساعة قد توقفت لطول فترة الصمت.

قال أخيراً: «هذه غلطتي.» كان صوته عميقاً مغلفاً بنبرة خيبة أمل حين تابع قائلاً: «لأجل المحافظة على سمعتك، عدت إلى غرفتي قبل أن يستيقظ أهل البيت والضيوف ولم أرغب في احراجك لأن الأمور حصلت بسرعة ليلة أمس. تباً للتقاليد.»

«رومانو، أرجوك...» كانت غارقة في ذكريات ليلة أمس.

«كان يجب أن اضرب التقاليد بعرض الحائط واتبع غريزتي الطبيعية وأن أبقى معك الليلة بأكملها. كان يجب أن أكون هناك عندما استيقظت هذا الصباح، عندها ما كنت لتتكلمي إليّ بهذه الطريقة، كأنك امرأة اعمال تتكلم مع زبون حصل بينهما سوء تفاهم.»

عارضته بهمس: «لكن هذا... هذا هو أنت، زبون.» جف حلقها، كي انها كافحت حتى تخرج كلماتها من فمها. كلمات رومانو حركت في داخلها المشاعر القديمة والحنين إليه من جديد، فتابعت: «هل نسيت سبب وجودي هنا؟»

أجابها بقسوة: «لا، لم أنسَ، ولكنني لست مصنوعاً من

حديد كما تظنين.» اختفت النظرة الدافئة من عينيه. وأضاف:

«الدعاية لشركتي هي مهمة لي، هذا صحيح. ولكنني لا اقوم بإغواء عذارى في الرابعة والعشرين كل يوم، يا كارولين.»

أحست بوجهها يشتعل وكأنها تقف في مواجهة حزن مستعر بالنيران. اخفضت رأسها لتخفي توترها. ركزت نظرها على فنجان القهوة أمامها وهي تضيف الحليب إليه قائلة: «أنا متأكدة من انك لا تفعل. أتوقع أن يكنّ أصغر سناً. بكثير!»

راقبها للحظات قليلة قبل أن يقف ويدس يديه في جيبي بنطاله الأسود. أدركت أنها قد جرحت مشاعره. تصلبت عضلات فكه، ولكنه احتفظ ببريق المداعبة في عينيه. كان بريقاً خالياً من الدفء والرقة. اخترقت اشعة الشمس اوراق شجر النخيل فوقهما، مما جعل ملامح وجهه تبدو قاسية خالية من أية انفعالات.

اطلت نظرة قاسية في عينيه، ثم أجاب ساخراً: «صحيح. تأتي العذارى إلى بيتي كل يوم بشكل منتظم خلال أيام الأسبوع وعادة يكنّ في الثامنة عشرة. وأيام العطل يكن عادة أصغر.»

لم تستطع الاحتمال أكثر. وقفت ببطء قبالته. استجمعت رباطة جأشها لتواجهه، وهمست بغضب: «أظن أنك تجد الأمر مسلياً، وعندما اقترحت أن... أن نجعل الأمر وكأنه تجربة، لم أتوقع منك أن تبدأ بتشريح وتحليل كل شيء، ساخراً مني في هذه العملية...»

«ألم تفعلي أنت؟» اقترب منها. أحست بتوقف قلبها عن الخفقان عندما أمسك بوجهها المشتعل احمراراً بين يديه وأخذ يتفحص وجهها الغاضب وعينيها الرماديتين: «ماذا توقعت، يا كارولين؟»

«توقعت أن تكون... مراعياً لمشاعر الآخرين. أتصور أنك قد نلت مبتغاك مني وأظن أنك سعيد بذلك لتوافق...»

كانت تصرخ بصمت في الداخل. ارتباكها عكر صفو تفكيرها. أحست وكأنها أمام حواجز وعليها أن تعطي أي شيء لتتخطاها وتغادر المكان.

جاءها صوته ساخراً: «هل هذا ما فكرت به؟ ألا تثقين بيّ، يا كارولين؟»

«لماذا عليّ أن أثق بك. أنا بالكاد أعرفك.» خرجت كلماتها بعد فوات الأوان.

«حقاً؟ ومع ذلك فأنت تعرفين عائلتي وبيتي. وتعرفين ايضاً نمط حياتي وهواياتي. وأنت من بين الناس القلائل الذي يعرفون عن غابرييلا. وبعد ليلة أمس، يا كارولين، عرفت عنك الكثير.»

صرخت في وجهه: «إذن، ماذا عليّ أن أفكر عندما اسمعك وسالفو تتآمران على شيء قبل قليل؟»

«نتآمر؟» خلت عيناه القاتمتان من التعابير.

«أنت وسالفو كنتما تتكلمان قبل وصولي. بدوتما... بدوتما متكتمين على أمر ما وكأنكما متورطان بشيء... مريب.»

تحولت نظرات عينيه الجامدة إلى نظرات تساؤل، تطورت إلى ابتسامة خفيفة ثم اطلق ضحكة مدوية. ولكن

عندما تكلم، كان صوته متهكماً: «يا للاتهام القاسي. يا لك من إمرأة صغيرة مشوشة الأفكار مفعمة بالشك والارتياب، كارولين. ليلة أمس وثقت بي لدرجة انك جعلتني حبيبك الأول. والآن، هذا الصباح أنا لست سوى فاسق وأيضاً ماذا... مجرم خطير، ربما؟»

«رومانو، أنا لم أقل ذلك.» شعرت بالغثيان والتعاسة. عرفت أنها لن تستطيع الخروج من دوامة التعاسة هذه إلى الأبد. ماذا قالت؟ لماذا تهورت في إطلاق هذه الاتهامات السخيفة؟

سألها بقسوة؟: «إذن، أخبريني، لماذا أنا؟ لماذا سلمت نفسك إلى رجل لا تثقين به؟»

«لم أسلم نفسي!»

«آه، نعم، لقد فعلت.» هذه المرة كانت لهجته ناعمة وهادئة.

فردت عليه: «لا أعرف لماذا أنت بالذات. ليس عندي جواب منطقي...»

أمسك كتفيها وقال: «لماذا لم تقيمي علاقات قبل اليوم؟ أظنني أعرف الجواب. كنت خائفة من التصرف بعفوية، من أن تفقدي السيطرة على نفسك. إنها المشكلة القديمة، أليس كذلك؟ خائفة من الحياة، خائفة من أن تعيشيها كاملة. مسكينة كارولين الصغيرة المتمسكة بقوة بكل شيء مألوف لديها، خائفة من المجهول، مرتعبة من أن تضع ثقتها بالناس فتخذل، وتجرح مشاعرها أو تعرض نفسها للخطر بطريقة ما.»

صرخت في وجهه بعنف: «هلا توقفت عن التحليل؟ كثير

من الأشخاص لا يجدون تعليلاً منطقياً لما يقومون به. هلا نسيت الأمر واعتبرته (جنون منتصف الصيف) وتخليت عنه إلى اشباح ضوء القمر اللعينة!»

انزل يديه عن كتفيها. كان وجهه ساخراً:

«حاذري، يا كارولين، لا تلعني، تذكري. تستطيع الأشباح أن تلحق بك الحظ العاثر.»

«لقد ضقت ذرعاً بهراءاتك الخرافية...»

قال بسخرية: «اتساءل ماذا ستفعل بك ماتيلدا إن سمعتك؟» بالرغم من غضبه علت ابتسامة مداعبة شفتيه.

«ماتيلدا؟ كانت ستجعل مني عبرة تافهة يتناقلها الناس، يجب أن اذهب يا رومانو. من المفترض أن أعمل على حملتك الدعائية للأسبوع القادم.»

حاجتها للهرب أصبحت ملحة الآن. قُرب رومانو منها وشخصيته القوية وذكريات ليلة أمس أخذت تضعف من دفاعاتها.

«اليوم هو الأحد. أنت حرة اليوم.»

«تماماً. لهذا أنا عائدة إلى كالكارا لاستمتع بهذا اليوم.»

حدق في وجهها بصمت وكأنه ينتظر ليعرف ما إذا كانت لديها المقدرة على تنفيذ رغبتها. أحست بالتخدر في ركبتيها وكأنهما كتلتان من حديد، أوامر عقلها لرجليها لتتحركا بدت وكأنها تأخذ وقتها الكامل لتصل إلى المكان المطلوب. شعرت وكأنها مسمرة في الأرض إلى الأبد. لا بد انها لعنة ماتيلدا لحقتها لأنها لعنت؟

أخيراً استطاعت التحرك ببطء، ولكن رومانو أمسك بذراعها وأوقفها دون جهد متمتماً بصوت منخفض قاسٍ:

«إلى أين تعتقدين نفسك ذاهبة؟»

«لأطلب سيارة أجرة! إلا إذا كنت تنوي أن تخطفني وتسجنني في غرفتي؟»

كانت ترتعش. ضاقت عيناه غير مصدق وقال لها بصوت هادىء: «قد يدهشك أن تعرفي بالرغم من رأيك فيّ، أن الخطف ليس من ضمن هواياتي، يا كارولين. إذا كنت تريدين العودة إلى كالكارا فسوف أوصلك.»

أخذت تعترض بغضب: «ليس هناك من حاجة...» ولكن نظراته المتوعدة الغاضبة اسكتتها.

خلا وجهه من التعابير، لا وجود لأي أثر لعاطفة أو تعبير من أي نوع، حتى لون وجهه بدا مختلفاً. حدقت في وجهه متأملة، لم تر وجهه بهذه التعابير من قبل. بدا شارداً ومفكراً ونبيلاً.

أخيراً تكلم: «هناك كل حاجة لذلك. اذهبي ووضبي أمتعتك. سوف انتظرك.» كان صوته جافاً وبارداً.

رجعت إلى غرفتها. اخذت ترمي بأغراضها داخل الحقيبة بعصبية دون ترتيب او نظام. كبحت دموعاً تجمعت في مقلتيها. أحست بالغضب من ضعفها وبالألم في قلبها الذي كاد يتمزق.

موقفها المتصلب أدهشها خلال الأيام التالية. ها هي الآن تستهلك كل طاقتها العملية من أجل دفع شركة رومانو إلى الأمام، وهي شخصياً لا تهتم إذا توقفت الشركة عن العمل غداً.

لا، لا... هذا غير صحيح.

أعادت سماعة الهاتف إلى مكانها وأخذت تحدق في

المنظر أمامها. تستطيع أن تراقب الخليج من مكتبها. كان الخليج مزدحماً باليخوت الرائعة والناس المتجولين. هي لا تتمنى الأذى اطلاقاً لشركة رومانو. عضت على طرف القلم في فمها.

انها فقط تتمنى لو أنها لم تقابله. تمنت لو أنها تستطيع العودة بالزمن إلى الوراء، فقط لعشرة أيام إلى الخلف، وقتها كانت لاتزال تحيا حياة منتظمة وهادئة في لندن، تسيطر على حياتها العملية وحياتها الخاصة.

حدقت إلى المنظر الرائع من خلال النافذة. كانت السماء صافية كغطاء ازرق واسع فوق المباني والأبراج والمعابد. لمعت مياه المتوسط تحت اشعة الشمس القوية. تتخلل هدوءه أمواج تعبث بجمال لونه الياقوتي.

أغلقت عينيها بقوة. ارتجف جسمها بعنف، وهي تتذكر عواطفها الجياشة تلك الليلة مع رومانو والتي لا يمكن ان تنساها طوال حياتها.

لن تكون الأمور كالسابق مهما حصل. انها لم تستسلم له بسهولة بل كان الأمر حتمياً لا يمكن تجنبه وكأنه مكتوب ليحصل.... كيف اتهمته لمجرد سماعها بعض الكلمات المبهمة من حديثه مع سالفو.

رفعت سماعة الهاتف الداخلي وطلبت ستيفاني. لقد توصلت إلى قرار وسوف تبدأ تنفيذه حالاً، وهي المرأة العملية والمدركة.

بدأت دون تراجع: «أود زيارة المستودع في جزيرا. هلا تأكدت من استقبالهم لي هناك، هذا المساء؟»

جاءها رد ستيفاني سطحياً وجافاً.

«رومانو لا يحبذ فكرة زيارتك للمستودع.» أحست كارولين بثقل في قلبها. كانت تأمل في أن تجد أجوبة وتفسيرات لتساؤلاتها وشكوكها.

سألتها بهدوء وهي تكافح للبقاء هادئة: «لماذا؟ لقد وصلت إلى هناك بضاعة عند نهاية الأسبوع الفائت، أليس كذلك؟ فخطر في بالي أن علاقات الشركة الدولية ليست كافية للدعاية، وسيكون لصالح الشركة أن نعرض كيفية استيراد البضائع من انحاء العالم.»

ساد صمت ثقيل وبارد قبل ان تجيب ستيفاني: «يجب أن اسأل رومانو أولاً عندما يعود.»

«متى سيعود؟»

«لقد خرج برفقة زبون لتفقد يخت.»

سألت كارولين بنفاد صبر: «هل تستطيعين أن تتصلي به؟»

نفد صبرها وهي تريد أن تزيل شكوكها السخيفة في اسرع وقت ممكن.

«لا. ولكن أعرف أن رومانو لن يسمح في جميع الأحوال بأن تذهبي إلى هناك. ان رومانو لا يريدك هناك بتاتاً، يا سنيوريتا هاستنغز، فأنت تثيرين المتاعب، وكلما اسرعت بالعودة إلى لندن، يكون أسعد.» انقطع الخط. أخذت كارولين تحدق في السماعة مشتتة الأفكار. في السابق، كانت تشك في أن تكون سكرتيرته مغرمة به ولكنها متأكدة الآن، وهذا الأمر لم يرفع من معنوياتها. ولكن من ناحية اخرى، فإنها مصممة على زيارة المستودع الليلة. هل حقاً يهمها أن تكتشف الحقيقة، بعد كل...؟

ركنت سيارتها قرب المستودع. رافقها رجل إلى داخل المستودع. انها مصممة على أن تعرف كل شيء عن البضاعة الغامضة. حتى أنها استطاعت إقناع الرجل بأن رومانو قد ارسلها لتتفحص البضاعة. فبدل أن تضيع وقتها في البحث عن مكان البضاعة حصلت لنفسها على مرشد.

خفق قلبها بعنف بين ضلوعها وهي تشعر بالذنب. توجهت إلى الخلف برفقة الحارس. كان المستودع واسعاً ونظيفاً حتى لم يكن هناك أي أثر للغبار. صفت البضاعة بترتيب على رفوف معدنية ضخمة. كانت هناك مئات الصناديق المكدسة على الرفوف. في الخلف، فصلت غرفة واسعة عن باقي غرف المستودع. تبعت الرجل إلى الداخل، أخذت تتفحص المكان بعناية. كان داخل الغرفة مزيد من الصناديق المغلقة بعناية.

ابتسم الرجل وهو ينظر إلى الفتاة امامه بفستانها الأسود القطني القصير، قائلاً: «لقد وصلنا. هل قرر الكونت دي سيورتو فتح الصناديق اخيراً؟»

«أجل... أجل... شكراً لك.»

«سوف اتركك لتفحصها الآن، يا سنيوريتا.»

تركها وحيدة. إزداد شعورها بالذنب. أحست وكأنها وسط قصة بوليسية مشوقة تصور فيلماً. رمت حقيبتها بسرعة إلى الأرض واستعملت يديها الاثنتين لحل رباط احد الصناديق. سمعت خطوات سريعة عند المدخل جعلتها تقفز من مكانها.

«مرحباً، يا كارولين.»

سد جسد رومانو الضخم الباب، كان يتكىء على حافة الباب وهو يشبك يديه فوق صدره مشدود الأعصاب، حتى بدت عضلاته وكأنها تقفز فوق كتفيه. لم يكن هناك مجال للهرب. علت شفتيه ابتسامة أخافتها. أما عيناه فكانتا مخيفتين وقاسيتين. كان ينتعل حذاءاً رياضياً ويلبس قميصاً اسود وشورتاً. تناثر شعره فوق جبينه وكأنه قد قفز لتوه من قارب. بدا ضخماً وطويلاً ومتوعداً.

وقفت كارولين قبالته بتحد وغير خائفة. شبكت اصابعها خلف ظهرها، أحست وكأنها لص ضبط بالجرم المشهود. نظرت إليه لتوضيح الأمر وإذا بها ترى في نظراته ظلاماً بعث القشعريرة في جسدها. بدأت رحلة عينيه المحملقتين من رجليها النحيلتين صعوداً إلى جسدها النحيل، إلى وجهها المتورد ثم إلى خصلات شعرها الأشقر المتناثر على وجهها.

«كيف عرفت أنني هنا؟»

«تحدثت ستيفاني معي بشأن المخابرة. هل كنت تبحثين عن شيء؟»

اعترفت بصراحة: «أنا... أنا كنت أحاول أن احل لغز البضاعة السرية التي كنت تتحدث عنها مع سالفو.» اتقد وجهها تحت تأثير نظراته المتفحصة.

«ربما استطيع مساعدتك؟» كانت لهجته جافة. تقدم بخطوات سريعة وانحنى امامها وأخذ يحل رباط الرزمة ناولها الوثائق عندما فتح الصندوق الأول قائلاً: «السر بسيط وقانوني. هاك الوثائق التي تثبت شرعية البضاعة قانونياً، داخل هذه الصناديق. يوجد أحدث أجهزة

الاتصالات الفضائية من فرنسا كانت الشركة تتفاوض بشأن هذه البضاعة بشكل سري للفوز بها حصرياً هنا في مالطا...»

«إذن؟ لماذا هذه السرية؟» حدقت في الأوراق بين يديها مندهشة وكأنها لم تستوعب الأمر بعد.

«لأن الوكالة ليست جاهزة حتى الآن. لقد حرصنا على إبقاء الأمر سراً واخفاء البضاعة الجديدة لحفظ حقوقنا، واردنا ان نحفظها هنا حتى موعد المعرض لنقدم اكبر مفاجأة للمنافسين اثناء المعرض.»

عبست في وجهه، وهي تغلي من الغضب، ثم قالت: «فهمت إذن، ان الأمر شبيه بمغامرة بوليسية. هنا كانت الحاجة لشحنها بسرية تامة ولهذا رفضت ستيفاني طلب مجيئي إلى هنا؟»

«تماماً.»

حدقت فيه وهي غير مصدقة. فهي لم تشك فيه حقاً ولم تقتنع رغم شكوكها بأنه يستورد بضاعة مهربة أو يقوم بأي عمل غير قانوني. ولكن الأمر أصبح مختلفاً.

«هذه الصناديق تحتوي على معروضاتك الثمينة التي ستفاجيء بها منافسيك في المعرض؟ هل هذا صحيح؟» حمل صوتها في طياته غضباً مكتوماً.

راقب غضبها المتصاعد، وجاء رده ساخراً: «أخيراً، فهمت الأمر بشكل صحيح.»

لكنها سألته بدهاء: «متى كنت بالضبط ستطلعني على وجودها؟ لكي استغل اهميتها لدعم حملتي الاعلانية بصفتي مسؤولة عن العلاقات العامة في الشركة؟»

«لم أكن أنوي اعلامك.»

«إذن، ماذا أفعل هنا في مالطا؟ لماذا تُضيع وقتك ومالك وأنت تدفع لي لقاء خدماتي التي على مايبدو لست في حاجة إليها، يا رومانو؟»

الفصل التاسع

«ربما هذا السؤال المتعلق بالثقة يعمل باتجاهين، يا كارولين؟»

أجابت وهي ترتجف من الغضب: «أنا اتكلم هنا عن مصداقيتي في العمل! لا أصدق انك أخفيت عني مثل... مثل هذه المعلومات القيمة التي ستعود بالتأكيد بفائدة كبيرة على الشركة! ماذا تصورت أن أفعل؟ أهرع إلى منافسيك؟ أبيع سرك إلى الذي يدفع أكثر؟»

هز رومانو كتفيه غير مهتم لاحتجاجاتها: «ان للحيطان آذاناً. لو عرفت بالأمر لكان من السهل أن يزل لسانك بحكم مهنتك عن غير قصد للصحافة. حتى الآن لم تكتشف الصحافة شيئاً عن الموضوع وأصبح الأمر شبه رسمي وجاهز للعرض، فلا حاجة الآن لإبقاء الأمر سراً عنك. ولأخرجك من دائرة شكوكك الشريرة...»

«أنا لم يكن عندي أية شكوك شريرة.»

عارضها باستهزاء: «حقاً؟ هذا ليس الانطباع الذي تركتيه عند نهاية الأسبوع الماضي في كاسا سيورتو، يا كارولين.» وجذبها نحوه بقوة.

«كنت حزينة وحائرة. ولم أعد حائرة بعد الآن. ليس... بشأن هذا.» جاء صوتها همساً بالكاد استطاعت سماع صوتها الهامس، أنين قلبها طغى على صوتها. كانت دقاته شبيهة بقرع الطبول. «فقط لم أكن متأكدة

www.elromancia.com

من طبيعة السر، هذا كل شيء، ولكن الآن أنا أعرف. وأنا...»

ضاقت عيناه وهو ينظر إلى شفتيها المرتعشتين. ردد كلماتها:

«أنت لست حائرة بعد الآن؟» أحنى رأسه وقبلها. رفع رأسه ليتفحص وجهها المرهق بنظرات باردة متحدية وقال: «حسناً، أؤكد لك أن الثقة هي كل شيء. إنسي مصداقيتك في العمل، يا كارولين. ماذا عن سلامتي الشخصية؟ منذ أن التقينا وأنا عرضة للاتهامات والشكوك. وحتى بعد أن قضينا ليلة معاً استمريت في اتهامي. إذا لم يكن هناك ثقة، فلا شيء يبقى يا كارولين.»

كاد يتوقف تنفسها، أخذت تحدق مذهولة في ملامح وجهه القاسية. شعرت بالقشعريرة من تأثير لمسات يديه على ظهرها وهما تشدانها بقوة إلى جسمه. أحست بالغضب من عجرفته ولكنها شعرت أيضاً بأن ثقتها بنفسها أخذت تخذلها.

لكنه كان محقاً. إذا لم يثق بها فهذا شأنه، ولكن بدورها كانت تشهر دائماً بنزاهته منذ لقائهما الأول. تركت الشكوك تسيطر عليها... لا يمكن أن تنكر هذا.

أجبرت الكلمات على الخروج من فمها. فجاء صوتها همساً:

«إذا قلت لك انني وثقت بك... إذا قلت لك ذلك، هل تصدقني؟»

أطلق ضحكة قصيرة قاسية وأجاب هازئاً: «ممكن.»

بلعت ريقها بصعوبة وهي تضم قبضة يدها بشدة: «رومانو، أرجوك... أنت لا تسهل الأمر عليّ!»

لمعت عيناه القاتمتان ببريق خبيث: «وهل يجب عليّ أن أفعل ذلك؟ في الواقع، لقد سئمت من المراوغة. بعد أن حاولنا تجنب الموضوع خلال الأيام الماضية فأنا اتعمد تصعيب الأمر عليك قدر استطاعتي!»

«رومانو.»

«سوف نقوم بنزهة.»

من دون ان تعترض، وجدت كارولين نفسها تتبعه إلى خارج المستودع ومن ثم إلى سيارته. ترددت قرب السيارة للحظات وأخذت تحدق فيه بصمت بعينين واسعتين. كان المساء قد حل وقريباً سيحل الظلام. يبدو أن الحارس قد رحل ولم يكن هناك من أحد في الجوار. لم تسمع سوى صوت الحشرات بين الشجيرات.

«ادخلي.»

ترددت قليلاً ولكنها أذعنت بصمت. كانت تحدق فيه مستكشفة شخصيته. لمحت في عينيه بريقاً كان ممزوجاً بتصميم مخيف شتت أفكارها، ولكن حدسها اخبرها أنه ليس من الحكمة أن تجادل. هي كانت غاضبة وكذلك هو ومن الحكمة أن تجاريه في هذه اللحظات:

سألته بعد أن قطعت السيارة عدة اميال: «هل يبدو الأمر مريباً إذا سألتك إلى أين نحن ذاهبان؟» كانا يغادران فاليتا وفلورينا متجهين نحو الجنوب الشرقي على طريق المطار. هل كان يخطط لاعادتها إلى انكلترا على أول طائرة؟

رمقها بنظرة باردة وأجابها مداعباً: «دعينا نرى بعد أن اكتشفت سر البضاعة، لم يعد لدي اختيار آخر سوى

اصطحابك إلى كهف غار حسان واتخلص منك بنفس الطريقة التي تخلص الشرير حسان من فتياته.»

كانت قد بدأت تفقد هدوءها ودبلوماسيتها، أجابته بسرعة: «الا تعتقد أن المهزلة قد طالت؟»

«نعم، هذا ما اعتقده تماماً.»

عضت على شفتيها، وكتمت غضباً جارفاً بينما تابع هو القيادة.

كان الطريق مزدحماً في البداية. داعب نسيم المساء شعرها ووجهها. سلكت السيارة طريقاً فرعياً وأخيراً وصلا إلى أرض مهجورة. يبدو أنها كانت تستعمل مهبطاً للطائرات كان يوجد برج مراقبة ومدرج كبير. أوقف رومانو السيارة ثم خرج واتجه إلى بابها يساعدها على الخروج. شعرت بالخوف لثوان، ولكنها عندما نظرت إليه عرفت أنها ستذهب معه حيث يريد، لأنها في هذه اللحظات اكتشفت أنها لم تعد خائفة منه مهما كانت نواياه نحوها. ولكن الغضب بقي مسيطراً عليها.

«رومانو، أين نحن؟»

«تعالي. أخرجي، سوف نقوم بنزهة.» مد يده إلى «تابلوه» السيارة أمامها وأخرج مشعلاً كهربائياً يدوياً. مشيا سوياً. أحاط رومانو كتفيها بذراعه كطوق حديدي. كانا يتجهان صوب المنحدرات. فجأة عرفت أين هما، كانا متجهين نحو غار حسان.

«تباً، يا رومانو هل هذه الرحلة المتعبة ضرورية؟» كان نصفها ساخطاً والنصف الآخر منذهلاً.

«لزيارة غار حسان، انه إجراء ضروري، يا

كارولين...» كان صوته ساخراً ولكن نبرة الغضب لا تزال واضحة فيه.

تابعا السير واقتربا من حافة المنحدر. استطاعت كارولين أن تسمع صوت ارتطام الأمواج على الصخور، في الأسفل كان يوجد ممر ضيق عبر المنحدر. تحول لون السماء إلى نيلي غامق ولكنه تلألأ بالنجوم وبقمر كان بدراً... وصلا إلى المدخل بصمت ثم وجدت كارولين نفسها في الداخل، والغضب في داخلها يزداد تدريجياً.

كان الظلام حالكاً. أضاء المشعل الكهربائي اليدوي الطريق لهما، وقع ضوؤه على الصخور الكلسية. امسك رومانو بيدها وقادها إلى الجهة اليمنى من الكهف. تعثرت وهي تمشي وراءه.

لم تحب الظلام. كان الكهف شديد الظلمة. أحست كارولين به كغطاء ثقيل أسود يسبب لها الاختناق. وجدت نفسها تفكر بقصة انطونيو ولويزا. انها قصص خرافية سخيفة. وجودها برفقة رومانو الغاضب في هذا المكان المظلم، بعث في داخلها خوفاً وقشعريرة.

أجفلت فجأة حين وصلا إلى نهاية النفق. استطاعت أن تشاهد انعكاس ضوء القمر الفضي فوق البحر البعيد مئات الأقدام تحت... سألته همساً: «رومانو، قل لي، ماذا تفعل؟»

وقف رومانو امامها ينظر إليها. لم تستطع رؤية تعابير وجهه في الظلمة. أمسك كتفيها بقوة وشدها بقوة نحوه ثم تمتم بغموض: «إننا نقوم بجولة في غار حسان. والآن، اخبريني يا كارولين، هل تثقين بي؟»

«طبعاً. نعم، أنا اثق بك.»

«هل تثقين بي لدرجة تجعلك متأكدة من انني لن أؤذيك بأية طريقة؟»

«رومانو، لم اتصور قط بأنك قد تؤذيني بأية طريقة. ولكن لماذا جئت بي إلى هنا؟»

أجابها بنعومة: «لأعلمك شيئاً عن الثقة. لتشاهدي بنفسك مقدرتي على القيام بأعمال شريرة.»

«لا أظنك قادراً على القيام بأعمال شريرة.»

«لا؟ ولكنك اتهمتني بتعريض حياة أمك للخطر من خلال ممارسة الهوايات الرياضية الخطرة، ثم اتهمتني بالقيام بأعمال مشبوهة مع أخي، أليس هذا الشر بعينه يا كارولين؟ أين تصنفين هذه الاتهامات؟»

«رومانو، أنا آسفة!» حدقت به في الظلام. تعلقت أصابعها بكتفيه. وجدت نفسها تضيف بصوت متقطع لاهث: «أنا آسفة! كنت مخطئة بشأن أمي. لقد اعتذرت لك من قبل. لقد اعترفت لك في ذلك اليوم في السوق بأن أمي حرة في حياتها ولا دخل لك في كل ما تقوم به. أنا حقاً آسفة. وأنا متأكدة من أن البضاعة في المستودع قانونية. هل أنت راضٍ؟ رومانو، أنا لا أحب هذا الكهف، أرجوك، الا نستطيع متابعة النقاش في مكان آخر أكثر... استئناساً...؟»

«الا تحبين غار حسان؟ ولكنه مكان مشهور. سكان المنطقة يأتون إلى هنا للنزهة وللتسابق في المدرج المهجور...»

«أتوقع أنهم يقومون بذلك في وضح النهار؟»

«صحيح. ولكن الليلة نستطيع الرؤية من خلال ضوء القمر القوي، وأظن أنّ لدينا الليلة قمراً بدراً. أنت لست خائفة من ظهور اشباح ماتيلدا لترمي بسحرها الشرير علينا؟»

«لا.» ارتعشت لا إرادياً وتعلقت أكثر بكتفيه وكأنها تطلب الحماية. ثم قالت: «أنا لا أؤمن بالاشباح، يا رومانو، ولكن أرجوك دعنا نغادر.»

ضحك بقسوة وهو يقول: «لا تخافي. لدي قوة تحمينا نحن الاثنين يا عزيزتي. ربما كان يجب أن أصحبك إلى كهف كاليبسوس في غوزو، حيث استطاعت كاليبسو أن تحتجز يوليسيس لسبع سنوات.»

اعقبت من خلال انفاسها اللاهثة: «أرجو انك لا تفكر في احتجازي هنا لسبع سنوات!»

كان يتحسس حنجرتها باصابعه الدافئة: «لا، لا أظن ذلك. ولكن كموقع لمشهد غرامي فإن الأمر مغرٍ، الا تظنين ذلك؟»

رددت كلماته بحشرجة: «مشهد غرامي؟» أحست بنفسها تذوب شوقاً إليه. هل يستطيع أن يسمع دقات قلبها القوية فوق صدره. ثم تمتمت: «آه، يا رومانو.»

«المشكلة بطرح نفسي كصورة رجولية لكاليبسو هي أنني أشك إذا كان يوليسيس يثق بكاليبسو.»

«يوليسيس كان قوياً، أليس كذلك؟» جاء تعليقها ضعيفاً وهي تضغط بوجهها على كتف رومانو وتشعر بقوة عضلاته وهو بدوره كان يشدها بقوة بين ذراعيه.

«كانت كاليبسو تحاول أن تسحره لينسى حياته في

وطنه، لينسى شريكته الوفية التي تنتظر عودته. إذا عكسنا الوضع، يا كارولين، اتساءل هنا، هل هناك شريك وفي ينتظر عودتك إلى الوطن، يا كارا؟ شخص تستطيعين أن تضعي ثقتك فيه بسهولة اكبر مما وثقت بي؟»

همست بارتعاش وهو يقبلها قبلات صغيرة على وجهها:

«رومانو، تلك الليلة في كاسا سيورتو، كان امراً لم ارغب في القيام به مع أي شخص آخر إلا معك. هل... هل يجيب هذا عن سؤالك؟»

«أظن أنه يجيب عن نصف السؤال، يا كارولين...» كان صوته أجش وعميقاً حين أضاف: «ولكن ماذا عن الصباح، يا كارا؟ تلك المواجهة العدائية التي قابلتني بها حول مائدة الفطور؟»

بلعت ريقها بصعوبة، أحست بألم في حلقها الجاف وأجابت: «أظن... أظن أنه ليس أنت من لم أثق به...» كانت تضغط بوجهها بقوة أكبر على كتفيه: «بل نفسي، مشاعري أنا.»

«أنت لم تثقي بحكمك؟ هل هذا ما تحاولين قوله، يا كارولين؟»

وافقت بسرعة: «أظن ذلك.» شعرت بالفرحة للحظات من الجو الحميم الذي ساد المكان. تمنت لو كانا في الخارج تحت ضوء القمر.

«هل ما زلت تشعرين بأنك ارتكبت خطأ في حكمك؟»

تنفست عميقاً وهي تبحث عن الكلمات المناسبة: «أظن أنني خطوت خطوة كبيرة إلى الظلام تلك الليلة معك.»

تمتم وهو يحكم قبضته عليها، فجالت يداه بنعومة فائقة على ظهرها بلمسات متملكة افزعتها:

«هل أنت خائفة من الظلام؟... طبعاً أنت كذلك.»

«رومانو، لا تسخر...» بقيت باقي كلماتها عالقة في الهواء.

«أنا لا اسخر منك، يا كارولين. أن اسخر منك يعني أنني لا اهتم لأمرك يا كارولين، بالرغم من الفترة الزمنية القصيرة لتعارفنا، فأنا اهتم...»

تكلم بهدوء. كان وجهه ملاصقاً لوجهها. رفعت وجهها لتنظر في عينيه، لتقرأ تعابير وجهه ولكنه كان امراً مستحيلاً. يستحيل عليها أن ترى وجهه في الظلمة. حدقت إلى المنظر خلفه. نظرت إلى البحر من خلال الفتحة عند المنحدر. لمعت مياه البحر بمئات الأنوار المرسلة من القمر. شعرت وكأن قلبها موجود هناك، كل شكوكها ومخاوفها تبددت وتلاشت هناك لتختفي إلى الأبد في أعماق البحر المظلمة.

«رومانو...» ماتت الكلمات على شفتيها، اختنقت من موجة الشك بنفسها التي اجتاحت جسمها.

الكلمات المناسبة لتعبر بها عن مشاعرها قد ضعفت وماتت في داخلها. بماذا تشعر؟ الرغبة؟ الافتتان؟ رغبة جامحة في التعلق به كما تفعل الآن بقية حياتها؟ يوم الاثنين ستطير إلى لندن، إلى شقتها وإلى مكتبها وإلى عالمها وإلى اصدقائها. ستكون يوم الاثنين في عالمها الحقيقي، عالم بعيد مئات الاميال من هنا، عالم بعيد عن هذه السعادة القصوى التي تشعر بها هنا معه لدرجة الألم. ستبتعد عن هذا العالم التي ورطت نفسها فيه عن غير قصد...

لكنها لا تريد الرحيل. ذلك العالم لا يبدو حقيقياً بالنسبة لها

الآن. الشيء الحقيقي بالنسبة لها هو هذه الرغبة التي تنمو باستمرار في داخلها عندما يكون رومانو قريباً منها، وهذا الشعور بالدفء والانتماء اللذين تشعر بهما وهي بين يديه.

«على الأقل أنت لست مصابة بالذعر بوجودك معي في هذا الكهف المظلم، ولست مقتنعة بأنني سوف أقذف بك من عن هذه الصخور إلى تحت.»

أجابت بصوت مرتعش: «ان ثقتي بك كبيرة.» ابتسمت رغماً عنها وأضافت: «ألم أتلقى عقابي بعد؟ هل يسمح لي بالخروج من هنا؟»

أحست به يحاول كبح رغبة قوية، فجاء صوته أجش وغير متزن: «أظن أن ذلك ممكن.» ضغطت يداه على جسدها بقوة. شعرت بأن ضلوعها ستتحطم تحت يديه القويتين.

استعادت وعيها ثم حررت نفسها منه. كانت تتصبب عرقاً بالرغم من برودة المكان.

أخيراً قالت بصوت متهدج وانفاس متقطعة: «دعنا نغادر المكان.»

«نعم، لنذهب...» كان صوته جافاً.

سارا بصمت، وكان الجو متوتراً بينهما.

أضاء المشعل لهما الطريق.

انتابها شعور بالكآبة واليأس. وهي تصعد إلى السيارة. لم تتجرأ وتنظر إليه تحت ضوء القمر الفضي.

علق قائلاً وهو ينظر إليها: «جنون منتصف الصيف. هذا كان تفسيرك للذي حصل الأسبوع الفائت.»

التفتت إليه ببطء. ترددت قليلاً قبل أن تدير وجهها لتنظر إلى وجهه القاتم. كانت تعابير وجهه غير واضحة. مات

شيء في داخلها بعد أن نطق كلماته الأخيرة. ماذا كانت تأمل أن يقول؟ إلامَ كانت متلهفة أن تسمع منه؟ شعرت بألم مبرح في قلبها، لم تعد تحتمل أكثر.

أجابت بصوت مخنوق: «أو أشباح القمر.»

ساد الصمت لفترة طويلة قبل أن يدير رومانو محرك السيارة الذي بدد الصمت الثقيل.

قال دون انفعالات: «آه، نعم، بالطبع، فهذا يحدث غالباً». وضع شريط كاسيت في مسجل السيارة، فانبعثت الموسيقى في الجو. اصغت كارولين إلى كلمات الأغنية بصمت.

كانت الأغنية تتحدث عن شخص مفعم بالمشاعر العميقة والرغبات المكبوتة. أحست بتأثير كلمات الأغنية عليها وكأنها تصف حالتها. تجمعت الدموع في مقلتيها. كيف وصل بها الحال إلى هنا؟ تساءلت بيأس. كيف يعرف الانسان أنه سيقع في غرام شخص لن يبادله المشاعر نفسها؟ ومن ثم تجعلك أغاني الحب تبكي متأثراً؟

قال أخيراً قاطعاً حبل الصمت الطويل: «إذن... ماذا سيكون؟ العمل أم المتعة؟»

برودة لهجته افقدتها رباطة جأشها. وجدت نفسها تقول بسرعة: «العمل.»

«سوف نقوم باللمسات الأخيرة على الحملة الدعائية للمعرض التجاري في ناكسر ومن ثم تعودين إلى لندن.»

«نعم.» لم تتصور أن هذا سيحصل. إذن، فإن رومانو غير مهتم بها. ان الشائعة التي تقول ان الرجال ما ان ينالوا مبتغاهم حتى يتخلوا عنهن، كانت صحيحة، أن يشعر المرء

بأنه مرفوض من حبيبه هو أمر مؤلم. شعرت بالضياع من شدة العواطف المكتومة وخيبة الأمل.

أضافت بهدوء: «نعم، أظن أن هذا صحيح.» كافحت ليبدو صوتها طبيعياً.

«هذا كل شيء.» كان صوته بارداً، خالياً من المشاعر. «ستكون الأيام المقبلة طويلة وصعبة. ليس لدينا الوقت لنضيعه، سوى ليلة المنارجا، بالطبع.»

كانت السيارة قد وصلت إلى المنعطف المؤدي إلى كالكارا.

«نعم، سوى ليلة المنارجا.»

«سوف ترافقينني، يا كارولين؟» كان قد اوقف السيارة أمام البيت القديم وأطفأ المحرك.

حدقت فيه ببلاهة، كانت تتألم ومشتتة الأفكار. لم يكن في إمكانها المخاطرة وقراءة تعابير وجهه الغامضة. «ماذا؟»

«إلى المنارجا...» كرر سؤاله بسخرية وهو يتفحص وجهها الشاحب بنظرات باردة «هلا فعلت؟»

هزت كتفيها بتوتر. رسمت ابتسامة شاحبة على شفتيها. تمتمت وهي تخرج من السيارة: «طبعاً.» كانت تبحث عن المفتاح في حقيبتها. بدا صوتها عالياً ومصطنعاً وهي تجيب: «بعد كل الأشياء الجميلة التي سمعتها عن المنارجا، لن افوته مهما كان المانع.»

الفصل العاشر

«تبدين شاحبة، يا كارولين!» عبست انااليسا وهي تتفحص وجه كارولين باهتمام ثم نقلت بصرها بسرعة نحو أخيها الأكبر قائلة: «جعلك رومانو تعملين كثيراً. عار عليك، يا رومانو انظر إلى الظلال السوداء تحت عينيها!»

كان الضوء خافتاً، فانحنى رومانو برأسه قليلاً ليتفحص وجه كارولين الشاحب.

النظرات العميقة والمهتمة في عينيه القاتمتين جعلت قلبها يخفق بجنون.

جذب احتفال المنارجا حشوداً كبيرة من جميع انحاء الجزيرة. كانوا بالمئات، معظمهم يرتدون أحلى الثياب من اجل احتفال منتصف الليل. أضيئت بوسكت غاردن بالانوار فعُلّقت المصابيح على اشجار الليمون والبلح والشوفان، وأخذت الفرق الموسيقية تعزف الالحان الشعبية ورقص الناس على الحانها. امتلأت الموائد بالاطعمة المالطية الخاصة واللذيذة، ولبس بعض الراقصين اللباس الرسمي المالطي.

شاهدت كارولين من قبل رقصة المالتيجا التي اخبرها عنها رومانو، وهي عبارة عن حفلة موسيقية ريفية راقصة كانت تؤدى في القصور الملكية، ويعود تاريخها إلى القرن الثامن عشر، كما اخبرها رومانو.

وقف الجميع يستمعون إلى الأغاني المحلية، تناوب

المغنون في ما بينهم على الغناء، واستخدموا الغيتار الاسباني اثناء ادائهم.

اعترف بهدوء وهو يضع يده على كتف كارولين: «بالفعل، كان الاسبوع الفائت متعباً. ولكن الليلة سوف اعتني بها، فلا تنظري إلي هكذا يا أختي الصغيرة!»

نبرة السخرية في صوته لم تبدل شيئاً في مزاج كارولين المعكر.

تراجعت قليلاً في محاولة منها للابتعاد عن لمسات يده على كتفها. ابتسمت في وجه انااليسا ابتسامة شاحبة ومعتذرة، وقالت له: «شكراً، استطيع الاعتناء بنفسي، حتى انني استطعت قيادة سيارة امي بمفردي إلى هنا هذا المساء.»

نظرات الاستهزاء والسخرية لم تختف من عيني رومانو.

كان رومانو قد اقترح عليها ان يقلها إلى هنا، ولكن برودته صدمتها فاصرت على القيام بالرحلة لوحدها.

تمتم رومانو: «آه، نعم، طبعاً. تستطيعين الاعتناء بنفسك، حتى وانت ترتدين فستانك الرقيق هذا وتتجولين ليلاً في شوارع فاليتا المظلمة.» كانت ملاحظة مؤلمة وساخرة. وجالت عيناه عليها بكسل.

كانت قد اشترت لنفسها فستاناً جديداً من المحل الذي اوصتها به انااليسا. كان الفستان مصنوعاً من الشيفون البنفسجي الجيد، طويلاً وفضاضاً، بربطتين عند الكتفين. بالرغم من دفء المساء، ارتعشت تحت نظراته المتفحصة الكسولة.

اعترضت ببرود: «حسناً، أولاً، أنا ألبس فستاناً

محتشماً، وثانياً بوسكت غاردن بعيدة عن شوارع فاليتا الضيقة المظلمة.»

أعلنت أنااليسا: «أظن انك رائعة. وإن اردتما أن تعرفا حقيقة مشاعري فأتمنى ان تتوقفا عن لعبة القار والهر هذه وان تتفقا!» كانت أنااليسا رائعة بثوبها الزهري الحريري الذي عكس جمال وجهها الأسمر.

ساد صمت مطبق لفترة ليست قصيرة.

«أنااليسا!» حمل صوت رومانو تحذيراً ولكن اخته هزت رأسها غير مبالية بتحذيره فأضافت وهي تضحك:

«أي شخص يستطيع أن يلاحظ ماذا يحصل هنا!»

سمعت كارولين نفسها تقول ضاحكة:

«هناك امل ضعيف في أن نتفق أنا وأخوك، يا أنااليسا.» حاولت بكلماتها المداعبة أن تخفي حرجها الذي سببته كلمات انااليسا فأضافت: «فأنا مغادرة إلى لندن غداً.»

«كيف تعرف أختي الحشرية أن كارولين وأنا لم نتفق حتى الآن؟»

جمدت كارولين في مكانها دون حراك. غاص قلبها إلى الداخل. كان صوت رومانو ناعماً وساخراً في آن واحد، وجدت نفسها تبحث عن كلمات مناسبة لتحافظ على ماء وجهها.

«صحيح. فقد أحرزنا نحن الاثنان نجاحاً باهراً في ناكسر، حيث ان شركة آمبل للاتصالات كانت الأولى في المعرض التجاري. اظن ان الحملة الدعائية قد نجحت بالرغم من ان رومانو قد اخفى معلومات قيمة حتى آخر

لحظة!» كانت تتوجه إلى أناليسا بكلامها ولوحظ ان نبرة صوتها كانت قوية.

وافق رومانو بنعومة: «بالتأكيد، فلم اشك يوماً بقدرة كارولين هاستنغز في مجال العلاقات العامة.»

قالت أناليسا: «كارولين، عزيزتي، هل أنت عائدة إلى لندن غداً وماذا عن أمك؟ هل ستغادرين قبل ان تعود امك من رحلتها لتراك؟»

علق رومانو بصوت هادىء وطبيعي: «كارولين امرأة مشغولة وعملية، يا اناليسا، لديها عمل مزدهر في لندن، دون ذكر... جيريمي؟»

انتفضت من قسوته، هل يكرهها حقاً الآن؟ لم تشعر يوماً باليأس كما تشعر الآن. كانت ساخطة وغير سعيدة.

منذ تلك الليلة في غار حسان حيث اطلقت العنان لمشاعرها وهو يتجنبها بطريقة ذكية. عملا سوياً للمعرض التجاري. عاملا بعضهما بصورة رسمية، ولم يتناقشا في اي موضوع خارج نطاق العمل. ان احتفال الليلة هو الفرصة الأخيرة لكي يرتاحا قليلاً ويبحثا عن اي بقايا من علاقتهما...

إذا كانت العلاقة هي الحكمة المناسبة لوصف وضعهما، بعيداً عن تلك الرغبة المتأججة، وبعدما اصبح الوضع مؤلماً بالنسبة لها، فلن يكون هناك دواء يداوي مشاعرها المشتتة والمجروحة.

أظهر اهتمامه بها في الفترة التي حاول أن يبرهن عن خطأ شكوكها، وفقد اهتمامه عندما سمع اعترافها برغبتها

فيه. منذ ذلك الانتصار الذي حققه رومانو وهي تشعر بالضياع والتشتت...

لقد ارتكبت أقدم خطأ في التاريخ، اليس كذلك؟ بأن تعترف امرأة برغبتها لرجل...

كانت اناليسا مشغولة بالتحدث مع زوجها وبعض الأصدقاء. وجدت كارولين نفسها وحيدة مع رومانو. كان الجو ساحراً في مهرجان المنارجا بالانوار الساطعة وضوء القمر القوي والضحكات والرقص والغناء والموسيقى... شعرت بأن كل ما يحصل من حولها يفقدها رباطة جأشها، وكأنها مؤامرة حيكت ضدها. انها مجنونة لتحضر الاحتفال، كان يجدر بها الامتناع عن المجيء.

وقف رومانو قربها. كان قريباً جداً منها بحيث استطاعت ان تشعر بحرارة جسده. ولكنها كانت تشعر بالغربة والوحدة.

سألت بهدوء: «ماذا يغنون؟»

«انها أغنية عن الألعاب.» أوضح رومانو لها وهو شارد الذهن، حدق فيها وهو يبتسم ابتسامة ضعيفة، واضاف: «انها أغنية قديمة تدعى الغانجا. في الماضي، كانوا يؤلفون الأغاني ارتجالياً دون تحضير. فمعظم الأغاني تتحدث عن احداث واقعية حصلت، والبعض الآخر يتحدث عن... قصص غرامية وجرائم وأحداث مأساوية وقصص شعبية محلية...»

وجدت نفسها تبتسم بدورها وتعلق قائلة:

«مثل قصة ماتيلدا عن انطونيو ولويزا؟»

«نعم، شيء من هذا القبيل.»

ساد الصمت برهة تاركاً المجال للأفكار والمشاعر المتأججة: «هل يصدق المالطيون هذه القصص؟»

«كما يصدق الانكليز قصصهم المحلية تماماً.»

«قصص الأشباح؟» أطلقت ضحكة خفيفة وهي تقول كلماتها الأخيرة.

«لست مهتماً بالاشباح، يا كارولين ولست مهتماً بالماضي الآن، انه الحاضر والمستقبل اللذان يشغلان تفكيري.»

صمتت مرة ثانية. ليست متأكدة من مشاعر رومانو نحوها، اكدت لنفسها بيأس. ولم تكن لديها الشجاعة لتسأله بعد ان اختبرت الرفض المذل في غار حسان.

هل يحاول ان يلفت انتباهها لأنه يشعر بالذنب بطريقة ما؟ هل يشعر بالاحراج لأنه اغوى ابنة صديقة له؟ أحست بالدوار في رأسها، لا تستطيع تنظيم افكارها. ربما لأنها مرهقة من الجهد الكبير الذي بذلته خلال الأيام القليلة الماضية. كانت افكارها تدور في حلقة مفرغة دائرية...

سألها بلطف وهو يحيط كتفيها بذراعه: «هل أنت جائعة؟ هل ترغبين في تناول الباتيزي؟»

«هل هذا طبق للتحلية ام للأكل؟»

«للأكل. وهو عبارة عن فطيرة ملأى بالخضر والأنشوفه (سمك صغير).»

«تبدو شهية ولكنني... لست جائعة الآن.» كانت قد تناولت بعضاً من الطعام التقليدي وهو عبارة عن أرنب

مقلي بعصير الطماطم. وأية شهية بقيت فقد فقدتها. دفء يد رومانو على كتفها أربكها وحولها إلى كتلة مشتعلة من الداخل.

سمعت نفسها تسأل: «هل... هل أحضرت غابرييلا إلى هنا؟» شعرت بالغباء وهي تطرح هذا السؤال.

«نعم...» أبعد رومانو يده عن كتفيها واستدار ليقف امامها، بدا وكأنه عاد من رحلة ذهبية بعيدة.

«و... وهل رغبت في زيارة سنوية مكتوبة في عقد الزواج؟»

أطلق ضحكة قصيرة وقال: «كان هذا تقليداً قديماً، يا كارولين، وغابرييلا ماتت منذ عشر سنوات.»

اعتقدت أنه لا يرغب في اضافة أي شيء ولكنه تابع ببطء: «استمرت خطبتي لغابرييلا ثلاثة أشهر فقط. ولكنني عرفتها مذ كنا صغاراً. كانت بالنسبة لي صديقة أكثر منها حبيبة أو زوجة المستقبل...»

«لكنك أحببتها؟»

«نعم، طبعاً أحببتها.» جالت نظراته في وجهها: «ولكنني وقتئذ كنت صغيراً. كلانا كنا صغيرين. عندما انظر إلى الخلف، أعرف ان حبنا كان من النوع الصبياني. كان حب صبي لصبية وليس حب رجل لامرأة...»

«لكن هذه... الفلسفة ان تعيش اليوم بكامله...» كان قلبها يخفق بقوة وهي تستعلم بالحاح. راقبت عينيه وهما تضيقان. كان يراقبها وبدت نظراته ثائرة لا تؤمن بالقيم. وتابعت قائلة: «كأنك لا تهتم اذا عشت او مت. هل هذا بسبب فقدانك لغابرييلا؟»

www.elromancia.com

أجاب مندهشاً: «هل أنت مجنونة؟ يا عزيزتي كارولين، لقد أخبرتك سابقاً بأنني لا أتعمد المجازفة بحياتي. فالحياة ثمينة وجميلة! ولكن لا معنى للحياة اذا لم تتجرأي وتختبريها بنفسك ولم تشعري بطعم الحرية. الم تسمعي كلمة مما قلته لك منذ ان اتيت إلى مالطا؟ الم تلاحظي انه منذ ان قابلتك وأنا...»

تناهى اليهما صوت مألوف من بعيد:

«رومانو... رومانو! انت... رومانو!»

«اللعنة!» كان صوته منخفضاً وهو يشتم تاركاً كتفيها مرة ثانية، لاحت ستيفاني من بعيد وهي تلوح له من خلال الحشد. كانت خلابة بثوبها الأصفر الحريري الضيق وبشعرها الأسود المنسدل بحرية وراء ظهرها.

«مساء الخير، يا ستيفاني.» انحنى رومانو برأسه وطبع قبلة تحية على خد ستيفاني. استطاعت كارولين ان تشم عطر ستيفاني القوي.

«انهم يرقصون الباراتا، هل أنت قادم للتفرج؟»

التوت شفتا ستيفاني استياء وهي تحيط ذراعه بيديها تحثه على الذهاب وتنظر إلى كارولين بعداوة.

راقبتهما كارولين وهما يتبادلان احاديث غير مفهومة باللغة المالطية. شعرت بالغثيان من المشهد امامها، لقد اتضحت لها الحقيقة الآن. مهما قال لها رومانو فالحقيقة هي انه وستيفاني كان يشكلان ثنائياً رائعاً...

عرفت هذه الحقيقة منذ اللحظة الأولى لظهور رومانو برفقة ستيفاني في اليوم الأول لوجودها في الجزيرة في بيت امها. لِمَ كانت عمياء؟ لِمَ سمحت بأن تدع سحر

هذا الرجل يفقدها اعصابها ورباطة جأشها؟ كيف سمحت لنفسها بالتفكير ان الكونت رومانو دي سيورتو النبيل، صاحب كاسا سيورتو، المدينة العريقة، قد يقع في حب فتاة مثلها؟ وهو صاحب اللقب النبيل والاصالة العريقة والمتيم بحب غابرييلا المتوفية، اما هي فكانت بالنسبة له تحدياً جديداً لا أكثر، إنها تلك الفتاة الشقراء التي ظهرت في حياته لفترة قصيرة وبعدها ستختفي من حياته إلى الأبد.

كان يستمع إلى ستيفاني شارد الذهن وتعابير وجهه غير مفهومة... كان ساحراً بوسامته وببذلته البيج الحريرية.

تلاقت نظراتهما. انعكست اضواء المساء على وجهه القاسي الخالي من التعابير...

أعلنت ستيفاني باللغة الانكليزية: «رومانو وأنا عملنا بجد للمعرض التجاري وقد وعدني بالقيام برحلة بعيدة سوياً عند الانتهاء.» أضافت وهي تنظر إلى كارولين بعداوة واضحة: «في اية ساعة تغادر رحلتك غداً، يا سينيوريتا هاستنغز؟»

«الساعة العاشرة...» اختفت الكلمات من حلقها. لا فائدة من المحاولة. لا تستطيع التصنع اكثر ولا تستطيع الاحتمال اكثر.

«في الواقع، لقد تذكرت، سأغادر الآن لتوضيب امتعتي وهناك عدة اتصالات يجب أن أجريها...»

قاطعها رومانو بغضب واضح: «كارولين...»

لو كانت في ظروف مختلفة لأوقفتها نبرة صوته

الغاضبة، ولكنها كانت مشوشة الأفكار فلم تعر غضبه اهتماماً.

«هلا اعذرتماني؟» خرجت كلماتها بسرعة. أحست بالدموع تتجمع في مقلتيها. اندفعت مغادرة المكان بسرعة.

نادت انااليسا عليها بيأس: «كارولين، عودي! أرجوك لا تغادري هكذا...»

شعرت بالذنب ولكنها اسرعت الخطى يجب ان تخرج من هنا بسرعة، لا يمكنها ان تنهار امام عائلة رومانو وأصدقائه.

«كارولين...» سمعت صوت رومانو الغاضب وراءها. لا تستطيع مواجهته الآن وهي تعرف الآن حقيقة مشاعرها نحوه. ساعدها حذاؤها المريح على السير بسهولة. شقت طريقها بين جموع الناس الذين تفرقوا مفسحين لها الطريق عند رؤيتهم لها غاضبة. لم تر بوضوح امامها، تحول كل شيء إلى ظلام واصبح الليل امامها ضبابياً معتماً.

«كارولين، انتظري!»

كانت قد وصلت إلى ساحة مضاءة جيداً حيث كانت مجموعة من الراقصين يؤدون رقصة شعبية بثياب زاهية. ملأت الموسيقى الجو بالأنغام الجميلة، ولم تستطع المرور. كان رومانو قد وصل إليها وامسك ذراعيها وثبتها في مكانها. كانت تلهث وحلقها جاف، وحاولت التحرر من قبضته.

«دعني... عد إلى ستيفاني... اتركني... دعني وشأني...»

جذبها بين ذراعيه وتمتم بصوت أجش: «توقفي عن

مقاومتي، توقفي، هل تسمعينني؟ سيظن الجميع أنني أحاول خطفك...»

تلوت بين ذراعيه وأخذت تضربه بيديها ثم فتحت فاها لتصرخ، وبقوة كبيرة وغاضبة، منعها بقبلة.

عندما رفع رأسه، اخذ يحدق في وجهها المصدوم بنظرات مليئة بالانفعالات والمشاعر.

«الآن، هلا توقفت عن مقاومتي؟» كان صوته أجش مفعماً بالمشاعر الجياشة.

«دعني أرحل، يا رومانو لقد حصلت على تسليتك.»

تحولت عيناه إلى كتلة سوداء قاتمة. توترت عضلات فكه بشكل ظاهر: «لم أحصل على أية تسلية، يا كارولين.»

«حسناً، شكراً كثيراً على...» كانت تتنفس بصعوبة واتسمت كلماتها بمرارة ظاهرة.

قال بصوت أجش: «هل تسمين الذي حصل بيننا بالتسلية؟» حملت نظراته مداعبة دافئة: «هل تظنين انه امر مسل بأن اكتشف ان المرأة الوحيدة التي ارغب في الزواج منها تشك في ان اكون انساناً فاسقاً؟»

جذب منظرهما انظار الناس من حولهما. حدقت كارولين غير مدركة لما يقوله واعقبت بغضب: «أنا لم أشك في شيء كهذا، في الواقع انا...» توقفت بسرعة عندما استوعبت كلماته. حدقت فيه بذهول غير مصدقة. توردت وجنتاها الشاحبتان.

«ماذا قلت؟» كان صوتها يرتعش، وابتسامة رومانو جعلتها تفقد حس الزمان والمكان من حولها. كان قلبها يخفق بجنون.

«أظن انني قلت بطريقة تقليدية انني اريد الزواج منك.»

كانت تقف امامه كالبلهاء وذراعاه تحيطان بها. لم يعد من وجود لأي شيء آخر على سطح الكرة الأرضية غير رومانو وهي، الموسيقى والضحك والاحتفال لم يعد لها وجود بالنسبة إليها، تصورت نفسها ورومانو لوحدهما في المكان.

«لكن انت لا...»

«أنا ماذا؟» المداعبة في صوته اشعل مشاعرها وزادها لهيباً.

«اعني... أنا لم اظن انك معجب بي حتى... والان انت مهتم لدرجة انك تريد الزواج مني...»

تلاشت الابتسامة من على شفتيه، احكم قبضته حولها حتى خيل إليها ان ضلوعها ستتحطم بين بيديه، ولكنها لم تهتم.

«حبيبتي، سامحيني. فهذه المرة، أنا الذي في صراع مع الثقة. كبريائي هي السبب، هلا غفرت لي؟»

«رومانو، أنا...»

«كارولين، الكبرياء امر صعب وأنا اعترف بذلك، لقد اردتك منذ اللحظة الأولى التي وقع فيها نظري عليك تلك الليلة على الزورق. وعندما شاركتك ليلتك... كان الأمر... شبيهاً بالسيطرة على قصر وسرقة مجوهرات الملك...»

حمل صوته العميق تلك الرنة الناعمة المخملية التي خطفت انفاسها. حدقت بصمت في وجهه بدت مصعوقة وهي تستمع اليه غير مصدقة ما تسمعه.

«في اليوم التالي، عندما اوضحت لي شكوكك على أنني أقوم بتهريب البضائع وربما أسوأ، جرحت كبريائي.» كان يضرب رأسها ضربات خفيفة حنونة. ثم أنزل يده إلى كتفيها وضمها إلى صدره.

أغمضت عينيها ثم اراحت رأسها على قميصه الحرير.

همست قائلة: «هل لهذا السبب، اخذتني إلى غار حسان...»

«لأتأكد من انك كنت فعلاً تخافين مني، وانك كنت فعلاً ترين في ذلك الشخص الشرير التافه!»

قبل ان يتابع رفع وجهها بين يديه لتنظر إليه: «لكنك اظهرت مشاعر متأججة، ولكن المشكلة كانت في انني لم اكن متأكداً اذا كانت تلك مشاعرك الحقيقية ام ان اشباح ماتيلدا قد جعلتك تتعلقين بي تلك الليلة في ذلك الكهف البارد المظلم... ولكن احتجت وقتاً للتفكير ولتنظيم شتات افكاري يا حبيبتي.»

سألته برقة وقلبها يخفق بين ضلوعها: «والآن، هل نظمت افكارك وتأكدت من مشاعرك؟»

«تزوجيني وابقي هنا في مالطا. افتحي مكتب عمل هنا اذا رغبت أو توقفي عن العمل وانجبي اطفالي يا حبيبتي. فقط قولي انك تقبلين الزواج مني.»

كانت مصدومة لدرجة انها لم تستطع النطق. شعرت بالدوار من شدة ارتباكها ولكنها اخيراً نطقت ببلاهه.

«لكن... ماذا... ماذا عن ستيفاني؟ فهي مغرمة بك وأنت تعرف ذلك بالطبع؟»

«ستيفاني تشعر بما يسمى... بالافتتان. أحست

بالذبذبات بيننا منذ وصولك... يوم تناولنا طعام الغداء عند امك. فافتعلت ذلك الحادث الصغير في المكتب. واداء الليلة كان مريعاً... ارادت ان تستحوذ علي وأؤكد لك يا كارولين أن ليس لها الحق في ذلك. لقد تبادلت معها كلمات قليلة، وأؤكد لك انها لن تزعجنا بعد الآن، يا حبيبتي.»

ارتعشت من النبرة الحازمة في صوته حين سألها بنعومة: «اذا كان جيريمي اللعين مغرم بك، هل سيؤثر هذا على مشاعرك تجاهي؟»

أجابت وهي تضحك ضحكة مرتعشة: «جيريمي ليس لعيناً.»

ساد الصمت. أخذ يحدق بوجهها لفترة طويلة بنظرات كشفت عن رغبة متأججة مكتومة.

همست بخجل: «لا أعرف ماذا أقول...»

امرها بهمس: «اذن، لا تقولي شيئاً...» وجدت نفسها تسير معه بعيداً عن الموسيقى والرقص، وبعيداً عن الأضواء حتى وصلا إلى سيارته.

قاد رومانو السيارة بصمت إلى كاسا سيورتو.

تمتم قائلاً: «تعالي.» أمسك اصابعها المرتعشة بيده وقادها من خلال السلالم إلى غرفة علوية كبيرة.

أغلق الباب وراءهما بحزم ثم أخذ يحدق في وجهها الأبيض.

أخذت تتفحص المكان. انها غرفة رومانو، اغراضه الشخصية قرب السرير على الطاولة مرتبة.

أطلقت بنبرة احتجاج ضعيفة:

«رومانو...» أخذت تراقبه وهو يحل ربطة عنقه بنفاد

صبر ثم أخذ يخلع الجاكيت تبعه القميص بنفس الطريقة الحازمة.

«إذا كنت تظن ان بهذه الطريقة يتم اقناعي واخضاعي... فأنا...»

أجابها بصوت أجش عميق: «لا، هذا ليس ما أفكر به، تعالي إلى هنا، يا كارولين...»

ووقف في وسط الغرفة.

اتجهت نحوه ببطء على رجلين مرتعشتين ووقفت امامه. تفحصها بامعان. كانت بشوق كبير اليه لتذوب بين يديه. اغلقت عينيها تحت نظراته المتفحصة ولمسات يده على خدها.

قالت بهمس: «رومانو، أرجوك، ضمني اليك...»

همس بصوت مرتعش: «أنت أجمل امرأة رأيتها في حياتي.» همس في اذنها كلمات لم تفهما. دفعت بوجهه لينظر إليها وحدقت في عينيه العاشقتين.

سألته بعذوبة: «ماذا تعني بكلماتك؟»

«تعني أنت جميلة، وأنا أحبك.»

كانت الترجمة بسيطة ولكن تأثيرها كان كبيراً. لفت ذراعيها حول عنقه وقبلته.

سألها بعد قليل: «سوف تتزوجينني وتبقين معي هنا.»

«نعم، سأفعل.» جعلها تنظر في عينيه. ورأت نظرات رقيقة ودافئة لم ترها من قبل في عينيه.

«دموع؟»

«فقط دموع الفرح...»

«هل تحبينني، يا كارولين؟»

داعبته قائلة:

«نعم. أحبك.» ودفنت وجهها في كتفه، وشعرت بذراعه تحيط بها وكأنه يحميها.

اعترف بنعومة وهو يقبل اذنها.

«احتاج إلى تأكيد وان اسمعك تقولينها، يا كارولين. اذا كنت متعجرفاً، فأنا انحني أمامك وأسألك هل تحبينني، يا حبيبتي؟»

«هل يرسل القمر نوره في ليلة مظلمة؟ وهل ينحسر المد في البحر؟» ضحكت من خلال دموعها مداعبة.

«هذا شاعري جداً، يا معذبتي الصغيرة.» شد قبضته عليها، بالكاد استطاعت التنفس.

«هل تعرفين ان الفتيات غير المتزوجات، نصحن مرة بأن يسرحن شعرهن تحت ضوء القمر، لإيجاد أزواج لأنفسهن؟ تعالي، تعالي، واقسمي بأنك ستحبينني دائماً...»

وجدت نفسها تقف قرب النافذة تحت ضوء القمر ورومانو يقف خلفها ويداه حول خصرها.

همست بلطف: «اقسم بأنني سوف احبك دائماً.» جاء صوتها همساً حتى انه انحنى برأسه إلى الأمام لكي يسمعها.

«أنا سوف أحبك دائماً، يا كارولين.» كان يبتسم لها. أحست بقلبها يقفز من بين ضلوعها من شدة السعادة.

قالت بصوت مرتعش:

«يجب ان اعود إلى لندن لترتيب أمور المكتب هناك، ربما تستطيع مرافقتي؟»

أجاب وهو يدفن وجهه في شعرها الأشقر وهو يضحك: «لست واثقاً من ان كاليبسو ستوافق. ربما يجب أن أبقيك هنا وأن اسجنك في كهفي، لكي لا تغفل عيني عنك. لكن... أجل... سوف اذهب برفقتك. لا أستطيع المجازفة، ولن ادع الفرصة لجيريمي للتأثير عليك لتغيير رأيك...»

«أنا لا أحب جيريمي ولن أحبه ابداً. كنت فقط ارافقه واخرج معه لأنه كان شخصاً لا يهدد استقلاليتي.»

قال مداعباً: «بينما أنا فعلت. حبيبتي، أنا لا أطلب منك التخلي فقط عن استقلاليتك، بل آمرك بأن تبقي معي هنا إلى الأبد!»

«ألم تعد كاليبسو يوليسيس بالخلود اذا بقي معها إلى الأبد؟ بالرغم من ذلك تركها.»

وافق معها: «أظن ان الأمور جرت على هذا النحو في الاسطورة، ولكن الشائعات تقول ان لديها كهفاً عميقاً لا يستطيع أحد الوصول اليه. على أية حال، لا يستطيع احد العيش إلى الأبد ولكنني استطيع اقناعك بالبقاء معي طيلة حياتك، يا كارولين.»

«آه، يا رومانو...» تنفست بصعوبة وهي تضحك. احاطت ذراعاها برقبته وشعرت بالفرح يغمر كيانها.

«الطريقة التي اشعر بها تجاهك يا حبيبي، لا استطيع معها في الاكتفاء حتى بالخلود لأعبر لك عن مدى حبي...»

ابتسم قائلاً: «ربما نقوم بزيارة لكهف كاليبو... ونعقد اتفاقنا هناك.»

هزت كتفيها بسعادة وقالت: «بالتأكيد لا. لا مزيد من

الزيارات للكهوف المظلمة والمخيفة. رومانو... سوف اعقد اتفاقاً معك...»

القبلة التي طبعها على شفتيها اخبرتها بدون كلام نوع الصفقة والاتفاق...

تمـــت

www.elromancia.com
مـــر مـــوريـــة